قائمة

فلسطين 2
أساس القضية الفلسطينية 2
أهداف الكيان الصهيونية 4
أهمية القضية الفلسطينية 5
الموقف الإسلامي والإنساني في القضية الفلسطينية 6
سبيل الحل للقضية الفلسطينية 8
الثورة الإسلامية 10
النظرة الكونية والفكرية للإسلام 10
لماذا وقعت الثورة الإسلامية وكيف انتصرت؟ 14
مميزات الثورة الإسلامية 16
القيم التي حققت الثورة لأجلها 23
الإمام الخميني والثورة 29
الإمام الخميني والثورة الإسلامية 29
الإمام الخميني ونظرية الحكومة الإسلامية 33
الاستقلال والحرّية 36
استقلالنا 36
الحرّية في الإسلام 39
ذكريات القائد من أيام النضال 44
العراق 44
الحج العبادي و السياسي 44
المستقبل للأمّة الإسلامية 44
استعراض الهوية الموحّدة للأمة 46
إحدى خطط الإسلام لمحو الغفلة 49
الوحدة الوطنية والإنسجام الإسلامي 52
عام الاتحاد والانسجام 52
الرسول الأعظم(ص) 54
في رحاب النبي الأكرم (ص) 54

أساس القضية الفلسطينية

ما هو أساس القضية الفلسطينية؟ أساسها هو أن حفنة من اليهود المتنفذين في العالم راودتهم فكرة تأسيس وطن مستقل لليهود، وقد استغلت الحكومة البريطانية هذه الفكرة من أجل حل مشكلتها. وكان اليهود قبل ذلك يفكرون في التوجه إلى أوغندا وتأسيس وطن قومي لهم هناك. وفي وقت آخر كانوا يفكرون في تأسيس وطن لهم في طرابلس عاصمة ليبيا، وتقدّموا بطلبهم ذاك إلى الإيطاليين الذين كانوا يحتلون طرابلس في حينها، إلاّ أن الإيطاليين رفضوا طلبهم. وفي ختام المطاف اتفقوا على هذه الغاية مع الإنجليز الذين كانت لهم في ذلك الوقت أغراض استعمارية خطيرة للغاية في الشرق الأوسط، ورأى الانجليز حينذاك أن من المفيد بالنسبة لهم استقدامهم إلى المنطقة كأقلية في أول الأمر ثم يزدادون تدريجياً ويتخذون لهم بقعة من الأرض في موقع حساس لأن فلسطين تقع في منطقة حساسة ثم يقيموا لهم دولة فيها لتصبح في المستقبل حليفاً لبريطانيا وتحول دون ظهور اتحاد بين دول العالم الإسلامي وخاصة بين الدول العربية في المنطقة. صحيح أن الآخرين إذا كانوا واعين يصبح العدو سبباً لاتحادهم، غير أن العدو الذي يتلقّى كل هذا الدعم الخارجي يستطيع بث بذور الاختلاف والفرقة بواسطة أساليبه الجاسوسية وغيرها من الأساليب الأخرى. وهذا هو ما فعله تماماً ؛ فهو يقترب من جهة ويضرب الجهة الأخرى، وينكل بجهة ثالثة، ويَغير على جهة رابعة.

وخلاصة القول هي انهم تلقوا الدعم من بريطانيا بالدرجة الأولى، وبعض الدول الغربية الأخرى، ثم انهم انفصلوا تدريجياً عن بريطانيا وارتبطوا بأمريكا، وقد احتضنتهم أمريكا تحت جناحها حتى وقتنا الحاضر. لقد جاءوا واحتلوا أرض فلسطين وأوجدوا لهم دولة بهذه الصورة. وكان الاسلوب الذي اتبعوه لبسط سلطتهم على هذه الأرض هو أنهم لم يأتوا في بداية الأمر عن طريق الحرب وإنّما جاءوا عن طريق الحيلة، وعملوا على شراء الأراضي الفلسطينية الواسعة الخصبة التي كان الفلاحون والمزارعون العرب يعملون فيها، بأسعار مضاعفة من مُلاكها الذين كانوا يعيشون في أمريكا وأوربا وكانوا يترقّبون مثل هذه الفرصة، فسارعوا إلى بيع أراضيهم لليهود. وكان لهم سماسرة طبعاً ساعدوهم على شراء تلك الأراضي، حيث يُنقل أن أحد سماسرتهم كان السيد ضياء شريك رضا في انقلاب عام 1299 هـ ش (1339 هـ ق) الذي ذهب من إيران إلى هناك وعمل كسمسار لشراء الأراضي من المسلمين لليهود والإسرائيليين. وما أن أصبحت تلك الأراضي ملكاً لهم حتى عملوا تدريجياً على إخراج المزارعين منها بأساليب وحشية وقاسية، كالضرب والقتل. وعملوا حينذاك على استمالة الرأي العام العالمي إلى جانبهم بأساليب الكذب والتضليل.

لقد قام التسلط الصهيوني الغاصب على فلسطين، على ثلاثة أسس، هي:

أولاً: استخدام اسلوب الشدّة والقسوة مع العرب، حيث اتسّم اسلوب تعاملهم مع أصحاب الأرض الأصليين بالعنف والهمجية، وبعيداً عن كل أساليب اللين والمرونة.

ثانياً: الكذب على الرأي العام العالمي، وقد اتخذ اسلوب الكذب هذا طابعاً مثيراً للدهشة. ومارسوا أساليب الكذب والتضليل قبل اغتصابهم لأرض فلسطين وبعده، حتى أن الكثير من الرأسماليين اليهود صدقوا تلك الأكاذيب، بل إنهم خدعوا بها أشخاصاً كالكاتب والفيلسوف الاجتماعي الفرنسي "جان بول سارتر" الذي كنا في أيام شبابنا ولهين به وبأمثاله ؛ فهذا الفيلسوف ألّف كتاباً قرأته قبل ثلاثين سنة كتب فيه "شعب بلا أرض، وأرض بلا شعب". أي أن اليهود كانوا شعباً بلا أرض وجاءوا إلى فلسطين التي كانت أرضاً بلا شعب. كيف يدعي أنها كانت أرض بلا شعب؟ بل كان فيها شعب يسكن ويعمل، وهناك شواهد كثيرة تثبت هذا الرأي. فقد ذكر أحد الكتاب الأجانب أن أراضي فلسطين كانت تغطيها مروج خضراء على امتداد البصر من مزارع الحنطة. فكيف يزعم أنها أرض بلا شعب؟! لقد صوّروا للعالم وكأن فلسطين كانت أرضاً بائرة وبائسة ومهجورة، وهم جاءوا وعمرّوها. هذا هو الكذب على الرأي العام.

حاولت تلك الجماعة أن تصور نفسها على الدوام وكأنّها مظلومة، ولازالت تتبع هذا الاسلوب في الوقت الحاضر. فالمجلات الأمريكية مثل مجلتي "التايم" أو "نيوزويك" اللتين أراجعهما في بعض الأحيان، إذا وقعت أدنى حادثة لعائلة يهودية، تسارع إلى نشر صور وتفاصيل وعمر القتيل وتضخّم مظلومية أطفاله، ولكنها لا تشير حتى بأدنى أشارة إلى مئات وآلاف المآسي والمصائب التي تحل بالشباب الفلسطينيين، والعوائل الفلسطينية، والأطفال الفلسطينيين، والنساء الفلسطينيّات في داخل الأرض المحتلة وفي لبنان!

ثالثاً: اسلوب الاتصالات وتكوين العلاقات والتواطؤ وممارسة الضغوط، وهو ما يسمونه باللوبي. ويقوم هذا الاسلوب على مبدأ الاتصال والتفاوض مع الساسة والمثقفين والكتاب والشعراء واستمالتهم إلى جانبهم والتواطؤ معهم. وهذه هي الأساليب الثلاثة التي استطاعوا بواسطتها الاستيلاء على هذا البلد.

وفضلاً عن كل ذلك فقد وقفت القوى الأجنبية إلى جانبهم ؛ وأهم تلك القوى هي بريطانيا والأمم المتحدة. وقبل الأمم المتحدة عصبة الأمم التي أنشئت بعد الحرب لإقرار ما يُسمى بقضايا السلام. وحصل الصهاينة دوماً على دعم تلك القوى، إلاّ في حالات معدودة. ففي عام 1948 أصدرت عصبة الأمم قراراً قسّمت بموجبه فلسطين بدون أي سبب، وأعطت لليهود سبعة وخمسين بالمائة من أرض فلسطين، في حين لم يكن لهم قبل ذلك التاريخ سوى خمسة بالمائة منها. ثم إنهم أقاموا دولة هناك وأخذوا يشنون الهجمات على القرى والمدن والبيوت وعلى المواطنين العزّل الأبرياء. إضافة إلى أن الدول العربية قصّرت بعض الشيء. ثم وقعت بعد ذلك عدة حروب ؛ ففي حرب 1976 استطاع الإسرائيليون أن يحتلوا بمساعدة أمريكا والدول الأخرى مساحات من أراضي مصر وسوريا والأردن. وبعد حرب عام 1937 استطاعوا بمساعدة تلك القوى أن يكسبوا نتيجة الحرب لصالحهم ويستحوذوا على أراضٍ أخرى.

خطب صلاة الجمعة في طهران في يوم القدس العالمي، 22/9/1420

أهداف الكيان الصهيونية

إن هدف إسرائيل هو التوسّع، وهي لا تقنع بأرض فلسطين وحدها. فهم في بداية الأمر كانوا يريدون الحصول على شبر واحد، ثم احتلوا نصف فلسطين، ثم احتلوا فلسطين كلها، ثم اعتدوا على الدول المجاورة لفلسطين ـ كالأردن وسوريا ومصر ـ واحتلوا مساحات من أراضيها. والهدف الأساسي للصهيونية حالياً هو إنشاء إسرائيل الكبرى. إلاّ أنهم قلّما يذكرون هذه التسمية في هذه الأيام، وغالباً ما يحاولون التستّر عليها، في محاولة منهم لتضليل الرأي العام ؛ وهو ما يفرض عليهم التكتم على أهدافهم التوسّعية في الوقت الحاضر لأنهم يواجهون معضلة عسيرة وهي الحاجة الماسّة إلى السلام ؛ وسبب ذلك هو أن الصهاينة في الفترة الممتدة منذ عام 1947 إلى عام 1967 لم يتعرضوا لأيّ عمل نضالي، ومع ذلك فهي لم تمض على ما يرام. ثم بدأ بعد ذلك الكفاح المسلح الذي كان ينطلق من خارج الأرض الفلسطينية ؛ حيث اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية وبقية الفصائل من الأردن وسوريا وغيرهما مراكز لنشاطها وأخذت تبعث المجاميع المسلّحة التي كانت تعتمد مبدأ الكرّ والفرّ، ولم تشكل آنذاك داخل الأرض المحتلة خلايا للمقاومة ؛ وذلك لأن الفلسطينيين في الأرض المحتلة كانوا يعيشون حالة من الرعب سلبتهم القدرة على القيام بأي عمل.

ولكن بعد إنبثاق الثورة الإسلامية [في إيران] وقع حدثين مهمّين:

الأول: هو أن المقاومة الفلسطينية التي كانت مقاومة غير دينية تحوّلت إلى مقاومة إسلامية واتّخذت طابعاً إسلامياً. وحتى العناصر التي كانت تمارس نشاطها من خارج الأرض المحتلة وتهاجم إسرائيل من لبنان أو من المناطق الأخرى، دخلت إلى الميدان بدافع إسلامي، وهو دافع قوي جداً.

الثاني: انبثاق الانتفاضة في الأرض المحتلّة والوطن المغتصب. وهم يخافون هذه الانتفاضة لأنها تشكل خطراً عليهم. ومن الطبيعي أنهم يحاولون عدم تصوير الأوضاع كما هي في الواقع لكن الحقيقة هي أن مقاومة الشعب الفلسطيني داخل فلسطين مؤثرة وقاتلة وتقصم ظهر الكيان الصهيوني ؛ وذلك لأنهم قدموا الوعود لليهود الذين جمعوهم من شتى أرجاء العالم بأنهم سيعيشون هنا حياة رغيدة وآمنة وسعيدة، وقطعوا لهم العهود بأنهم سيكونون أسياداً في هذا الوطن. أما في الوقت الحاضر فهم لا طاقة لهم على مواجهة الجيل الناهض وأصحاب الأرض الأصليين الذين وعوا حالياً وزعزعوا أركان الكيان الصهيوني ؛ ولهذا السبب فإن الصهاينة مضطرون حالياً لإقرار السلام مع دول المنطقة بأي نحو كان ليتسنى لهم التفرّغ لشؤونهم الداخلية. وقضية التصالح مع منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات هي امتداد لهذا التوجّه. فحاولوا المجيء بعنصر فلسطيني إلى مشروع التساوم لعلهم يستطيعون من خلال ذلك إخماد صوت الفلسطينيين الثائرين داخل الأرض المحتلّة. إلاّ أنهم لم يتمكنوا من ذلك. وفي ظل هذه الظروف لا يتجرأ الكيان الصهيوني الغاصب في الوقت الحاضر على المجاهرة بشعاره الأساسي وهو التوسّع من النيل إلى الفرات. فأرض الميعاد التي ينادي بها الصهاينة حسب مزاعمهم الباطلة تمتد من النيل إلى الفرات، وكل ما لم يحتلّوه منها، يجب عليهم احتلاله في ما بعد. وهذه هي خطتهم إلا أنهم لا يتجرأون على المجاهرة بها في الوقت الحاضر.

خطب صلاة الجمعة في طهران في يوم القدس العالمي، 22/9/1420

أهمية القضية الفلسطينية

أولاً يجب القول أن القضية الفلسطينية واحدة من وصمات العار الكبرى في هذا القرن الذي شارف على نهايته. إن وصمات العار على جبين هذا القرن كثيرة، ومنها أنه وقعت فيه حربان طاحنتان، ونُصبت فيه حكومات كثيرة على أيدي مستعمري الأمس ومن جملتها بلدنا. وفي هذا القرن ظهرت حكومة القمع والجور والاضطهاد البهلوية الفاسدة العميلة. ومن جملة القبائح التي وقعت في هذا القرن الذي اتّسم أيضاً بمحاسن ولكنها ليست موضع بحثنا حالياً أو ربّما يمكن القول إن أقبحها هي القضية الفلسطينية ؛ وذلك لأنهم طردوا شعباً من بلده أرجو من الشباب الذين ليس لديهم اطلاع مسبق بالقضية الفلسطينية التأمل والتمعّن في هذه الكلمات وجمعوا حفنة من الناس من أرجاء العالم وأحلّوهم محلّ أبناء ذلك الشعب، بدعوى أن الشرذمة التي جمعوها من أكناف العالم تعود إلى عنصر واحد وهو العنصر الاسرائيلي، أو العنصر اليهودي! أي أن هذا العمل عمل عنصري قبيح. وهذا العمل فيه خزي وعار على كل من يقوم به في أي مكان في العالم حتى وإن كان على نطاق أضيق. في حين أنهم مارسوا هذا العمل على نطاق بلد كامل. فمن هي الجهة التي قامت بهذه الفعلة؟ في الحقيقة إنها بريطانيا ومن بعدها أمريكا.

يلاحظ اليوم إن البعض يتوجّه باللائمة إلينا بسبب بحثنا للقضية الفلسطينية على اعتبار أنها قد انتهت وأغلق ملفّها. وأنا أقول إن هذه القضية لم تنته قط ولن يبقى الفلسطينيون أصحاب الأرض وأولادهم خارج أرضهم إلى الأبد، كما يتوهمون، أو إذا كانوا في داخل أرضهم يعيشون كأقلية مقهورة ومضطهدة، ويبقى أولئك الغاصبون الأجانب فيها. فهذا شيء غير ممكن. فحتى البلدان التي اخضعت مائة سنة لتسلط قوّة أخرى كما هو الحال بالنسبة لقزاخستان وجورجيا وهما من بلدان آسيا الوسطى التي استقلت حديثاً كان بعضها خاضعاً للاتحاد السوفيتي، وبعضها الآخر كان خاضعاً لروسيا قبل ظهور الاتحاد السوفيتي. فهذه البلدان نالت استقلالها من جديد وعادت إلى أهاليها وشعوبها. ولهذا فلا يُستبعد بل من المحتم أن فلسطين ستعود للشعب الفلسطيني وسيقع هذا الأمر بإذن الله. ومعنى هذا أن القضية الفلسطينية لم يُغلق ملفها، والتصور بأنها انتهت وختمت، تصور خاطئ.

إن من جملة الأساليب التي يستخدمها الصهاينة وحماتهم وعلى رأسهم أمريكا، هو استغلال مصطلح «السلام» الجميل. فهم يدعون إلى السلام ويشيدون به كثيراً. ولكن أين هو السلام، ومع من؟ فالذي يدخل دارك بالعنف ويضربك وينكل بزوجتك وأطفالك ويحتل غرفتين ونصف من مجموع الغرف الثلاثة التي في دارك، ثم يتوجّه إليك باللوم على معارضته أو التشكي منه، ويدعوك إلى التصالح معه وإقرار السلام. فهل هذا سلام؟ السلام هو أن يخرج المحتل من الدار المغصوبة وإذا بقيت بين الجانبين حرب، يمكن التصالح بعدئذ. أما إذا بقي الغاصب جاثماً في الدار وبعد كل الجرائم التي ارتكبها، ولو كان بمقدوره لما تورّع عن أية جريمة أخرى ؛ فها هو العدو الصهيوني يهاجم في كل يوم جنوب لبنان، وهو لا يغير على المقاتلين اللبنانيين، وإنما يستهدف قراه ومدارسه، كما حدث قبل عدّة أيام حين هجم على مدرسة هناك وقتل عدداً من الأطفال ؛ وهؤلاء لم يحملوا السلام ولم يقوموا بأي عمل عسكري. ولكن هذه هي طبائع المعتدي. فالصهاينة حينما دخلوا لبنان ارتكبوا فيها المجازر، وهكذا فعلوا أيضاً في دير ياسين وغيرها من الأماكن الأخرى، وقتلوا أناساً لم يقوموا بأي عمل ضدّهم، أو أن أولئك الضحايا على الأقل لم يقوموا بأي عمل ضدهم. إلاّ أن الشباب العربي الغيارى هبّوا لمحاربتهم بسبب احتلالهم لأرضهم وما ارتكبوه من أعمال اجرامية. أما الناس الذين لاقوا كل ذلك الاضطهاد والظلم منهم وذبحوهم وأخرجوهم من ديارهم ومزارعهم فإنهم لم يكونوا قد مارسوا أي عمل عسكري ضدّهم. ومعنى هذا أن طبيعة هذا النظام طبيعة عدوانية.

لقد أقيم الكيان الصهيوني أساساً على العنف والقهر والقسوة، وبدون هذه الأساليب لم ولن يكون قادراً على البقاء. فأي سلام هذا الذي يدعون إليه؟ إذا اقتنعوا بحقهم وأعادوا فلسطين إلى أصحابها وذهبوا على سبيل حالهم، أو استأذنوا من الحكومة الفلسطينية بالعيش على هذه الأرض، كلهم أو بعضهم، فلن يحاربهم أحد. أما الحرب الحالية فهي لأنهم اقتحموا دار غيرهم واستولوا عليها بالعنف وشرّدوا منها أهلها ولازالوا يضطهدونهم ويمارسون عدوانهم ضد دول المنطقة ويشكلون تهديداً لها. وعلى هذا فهم يدعون الى السلام من أجل اتخاذه كمقدمة لعدوان لاحق يشنّونه على نحو آخر.

خطب صلاة الجمعة في طهران في يوم القدس العالمي، 22/9/1420

الموقف الإسلامي والإنساني في القضية الفلسطينية

أما رأينا في هذا المجال فهو أن القضية الفلسطينية تعتبر من وجهة النظر الإسلامية قضية مركزية وفريضة على جميع المسلمين ومن جملتهم نحن ؛ فجميع علماء الدين الشيعة والسنّة الماضون منهم والحاضرون يصرحون أن أرض الإسلام إذا وقع أي جزء منها تحت سيطرة أعداء الإسلام يجب على الجميع الجهاد لاستعادتها. فكل مسلم مكلف إزاء القضية الفلسطينية بواجب يجب عليه أداؤه حسب استطاعته وبأي نحو يتيسر له، وذلك بناءً على:

أولاً: أن هذه الأرض تعتبر من وجهة النظر الإسلامية، أرضاً إسلامية مغتصبة من قبل أعداء الإسلام، وتجب استعادتها منهم.

ثانياً: هناك ثمانية ملايين مسلم ؛ بعضهم مشردون، وبعضهم الآخر يعيشون في ظل الاحتلال ظروفاً أسوأ من ظروف المشرّدين، ولا يستطيعون ممارسة حياتهم اليومية بشكل طبيعي، ولا يُسمح لهم بالإدلاء بآرائهم، ولا يحق لهم انتخاب ممثل عنهم لإدارة شؤون بلدهم، وفي الكثير من الحالات يمنعون من أداء صلاتهم. وقد أحرقوا في السنوات الماضية المسجد الأقصى وهو أول قبلة للمسلمين، ثم أخذوا لاحقاً يحفرون أرضه، ويريدون أساساً تغيير طابعه الإسلامي. وهذا ما يوجب على كل مسلم تكليفاً لا يمكنه التنصّل عنه، ويجب عليه العمل بما يستطيع منه.

إن ما يستطيع الشعب الإيراني القيام به في الوقت الراهن وهو أهم من كل الأعمال الأخرى هو التظاهرات كتظاهرات هذا اليوم، وهو عمل في غاية الأهمية. فهدف الصهاينة هو أن توضع القضية الفلسطينية في أدراج النسيان، بحيث ينسى الناس أن قضية كهذه كان لها وجود في يوم ما. إلا أنكم بعملكم هذا لا تسمحون لهم بتحقيق هذا الهدف، ويوم القدس لا يسمح لهم بذلك، وإمامنا الراحل بحكمته وتدبيره لم يسمح لهم بذلك. وهذا عمل كبير طبعاً.

أمّا من الوجهة الإنسانية فإن مظلومية العوائل الفلسطينية تلقي على كاهل كل إنسان واجباً ؛ فالظلم الذي يتعرض لهم الشعب الفلسطيني في داخل فلسطين، وهو ما شاهدتهم جانباً منه في الأشرطة والأفلام التي عرضت في التلفزيون هذه الأيام، ظلم مرير. ومن العجيب أن منظمات حقوق الإنسان تبدو وكأنها ميّتة لا تحرك ساكناً إزاء هذا الظلم الفاحش، كما أن الأمريكيين وبعض الغربيين الذين يزعمون أن رسالتهم هي نشر الديمقراطية في العالم، قد فضحوا أنفسهم في هذه القضية ؛ وذلك لأن هناك اليوم شعباً ليس بيده شيء من التأثير في مقدرات بلده ووطنه ولا يُسمع رأيه في أي مكان، وذلك هو الشعب الفلسطيني. فمن الوجهة الإنسانية هناك شعب مظلوم، وهناك على الجانب الآخر حكومة عنصرية. ورغم وجود كل هذا الظلم، نلاحظ هناك الكذب والزيف الفاضح من قبل أمريكا والمنظمات الدولية والمفكرين الغربيين الذين يدّعون مناصرة الديمقراطية!

أما من الجانب الأمني فإن إسرائيل تشكل تهديداً أمنياً ليس لشعبها فحسب، بل لكل المنطقة ؛ وذلك لأنها تملك في الوقت الحاضر ترسانة نووية وهي لازالت عاكفة على انتاج هذا السلاح. وقد وجّهت لها منظمة الأمم المتّحدة تحذيرات عديدة ولكنها لم تعرها أي اهتمام. ولاشك أن السبب الأساسي الكامن وراء هذا التمادي هو الدعم الأمريكي. أي أن قسطاً كبيراً من آثام الصهاينة يلقى على عاتق أمريكا. اعلموا أن مجلس الأمن أصدر طوال الخمسين سنة التي ظهر فيها الكيان الصهيوني، تسعة وعشرين قراراً ضد إسرائيل، وقد استخدمت أمريكا حق النقض (الفيتو) إزاء كل تلك القرارات التسعة والعشرين. أما في الوقت الحاضر، فهي لا تسمح منذ حوالي عشر سنوات أي من بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق بصدور أي قرار من مجلس الأمن ضد اسرائيل! إذاً فإثم كل هذه الجرائم يقع على عاتق أمريكا. فأمريكا التي تتظاهر بمظهر المحب للسلام وتبدي لجميع الشعوب ـ ومنها شعبنا الشريف المظلوم ـ ابتسامات مسمومة، هي المجرم الأوّل في القضية الفلسطينية، وإحدى جرائمها هي أن يديها ملطختان حتى المرفق بدماء الفلسطينيين.

إنّ الكيان الصهيوني يشكل تهديداً لدول المنطقة. وحكومات سوريا ولبنان والدول الأخرى الموجودة هناك تواجه بعض المصاعب والمتاعب. وأمر الحكومات في معزل عن أمر الشعوب ؛ فالشعوب في كل مكان قلوبها مليئة غيضاً. أما الحكومات فهي مضطرة تحت وطأة بعض الضغوط إلى الإدلاء بتصريحات ما، والدخول في المفاوضات واتخاذ بعض المواقف.

أما على الصعيد الاقتصادي فإنّ إسرائيل تشكل خطراً على المنطقة. فالصهاينة المتسلطون على فلسطين طرحوا قبل مدّة مشروعاً تحت عنوان "مشروع الشرق الأوسط الجديد". فماذا يعني الشرق الأوسط الجديد؟ معناه الشرق الأوسط الذي يتشكل حول محور إسرائيل ويتسنى لإسرائيل من خلاله بسط سيطرتها الاقتصادية تدريجياً على الدول العربية ودول المنطقة والمناطق النفطية في الخليج الفارسي. وهذا هو الهدف الذي يسعى إليه الإسرائيليون. وبعض الدول غافلة، وعندما تواجه بالاحتجاجات تعلن أنها لا تقيم علاقات معهم ولكنها سمحت لتجارهم بالمجيء! والحقيقة هي أن غايتهم هذه، فهم يريدون استغلال غفلة بعض الحكومات والدخول إلى هناك بحماية أمريكا وبدعم من ترسانتها الرهيبة، لغرض الاستيلاء على المراكز الاقتصادية والمصادر

المالية. وهذا خطر جسيم على المنطقة، ويفوق في أهميته سائر الأخطار. عسى أن لا يأتي الله بذلك اليوم، ولن يأتي به، كما أن الشعوب المسلمة لن تسمح بذلك. إلا أن الخطة الصهيونية ترمي من خلال الاعتماد على الاقتصاد، الاستيلاء على جميع مراكز القوّة في هذه الدول. وهذا يعني أن وجود إسرائيل يشكل اليوم خطراً بالغاً على شعوب ودول المنطقة إسلامياً وإنسانياً وإقتصادياً وأمنياً وسياسياً.

خطب صلاة الجمعة في طهران في يوم القدس العالمي، 22/9/1420

سبيل الحل للقضية الفلسطينية

إن سبيل الحل للقضية الفلسطينية ليس من شاكلة الحلول القسرية والكاذبة، فالحل الوحيد لقضية فلسطين يتمثل في انتخاب أهل فلسطين الأصليين ـ وليس المهاجرين الغاصبين المحتلين ـ مَنْ كان منهم داخل الأراضي الفلسطينية أو خارجها، للنظام الذي يحكم بلادهم، فإن كان الاعتماد على رأي الشعب صحيحاً كما يراه مدّعو الديمقراطية في العالم فإن الشعب الفلسطيني شعبٌ أيضاً وله اتخاذ القرار ؛ وإن الكيان الصهيوني المتسلط الآن على التراب الفلسطيني لا يمتلك حقاً يمارسه على هذه الأرض، فهو كيان لقيط مزّيف وصنيع القوى الظالمة ؛ وعليه يجب أن لا يطلب من الشعب الفلسطيني الاعتراف به.
من أخطأ في العالم الإسلامي واعترف بهذا الكيان الجائر، فهو بالإضافة إلى وصمة العار التي يلصقها على جبينه يكون قد بادر لفعلٍ لا طائل منه، لأن هذا الكيان لا دوام له، والصهاينة يتوهمون استحواذهم على فلسطين وأنها لهم إلى الأبد! كلا، فليس الأمر كذلك، وإن مصير فلسطين لابد وأن ينتهي يوماً ما بقيام دولة فلسطينية، وفي هذا الدرب تأتي ثورة الشعب الفلسطيني ؛ ومسؤولية الشعوب الإسلامية تتمثل في تقليص هذا الفاصل الزمني والعمل على أن يبلغ الشعب الفلسطيني ذلك اليوم.
حرم الإمام الخميني (ره) ، 22/3/1423

إن ما يطرح من سبل للحلّ هي ليست سبل حلّ، فلقد كانت فلسطين القضية المهمة في العالم والشرق الأوسط على مدى الخمسين عاماً الأخيرة، ولغرض إيجاد حل لهذه القضية والمشكلة المهمة طرح مشروعان للحل، أحدهما خاطئ والآخر صحيح ؛ أما الخاطئ فهو الدخول في مفاوضات مع هذا الغاصب الذي لا عهد له بالقيم الإنسانية ولا القوانين الدولية ولا يذعن للقرارات التي تصدرها المنظمات الدولية والوصول إلى اتفاق معه. وهذا حل خاطئ بأي صورة يبدو عليها ؛ فلقد برهنت إسرائيل عدم التزامها بأي عهد تعطيه، وإذا ما وافقت ووقعت فهي لا تفي بالتزامها، وأقوى وأكبر دليل على هذا الكلام الوضع الحالي في رام الله، فهم الذين جلسوا في أوسلو ووقعوا على الاعتراف رسمياً بالسلطة الفلسطينية، وها هو تعاملهم مع السلطة الفلسطينية والطرف الذي فاوضهم ـ أي ياسر عرفات ـ، انهم لا يلتزمون بعهدهم، فهم يسحقون كل عهد يقدمه الطرف المقابل لهم ويتقدمون خطوة إلى الأمام، وهذه هي طبيعتهم، فهذا حل خاطئ. وإنني إذ أتحدث بهذا إنما لا أعني في خطابي الذين يحاولون الإبقاء على هذه الغدة السرطانية مهما كلف الثمن، فهؤلاء لا يقبلون هذا الكلام ونحن نعرف ذلك، لكنني أوجه خطابي إلى الحكومات العربية والإسلامية وإلى الشعوب الإسلامية والضمائر الحيّة في أرجاء المعمورة، وإنني أتكلم معهم، فهذا الحل يضع لقمة سائغة في فم هذا الغازي لتجعله أكثر مكراً ويكون قادراً على أن يخطو الخطوات اللاحقة، فهذا ليس حلاً ؛ وهذه تجربة خمسين عاماً مرت على القضية الفلسطينية، إذ أصدرت الأمم المتحدة القرارات، وبالرغم من مصادقة أمريكا المدافعة عن الصهاينة عليها ظاهرياً، إلا أن هذا الغازي لم يعمل بها ولم يقل له أحد "على عينك حاجب"، فأية مفاوضات يجريها المرء مع مثل هذه الدويلة وهذا الخصم؟! هذا الحل ليس صحيحاً.
ولكن هنالك حلاً منطقياً لهذه القضية تتبناه الضمائر الحية في العالم والمؤمنون بالمفاهيم العالمية المعاصرة، وعليهم القبول به، وهو ما صرحنا به قبل عام ونصف وطرحته حكومة الجمهورية الإسلامية مراراً في المحافل والحوارات الدولية، ونحن نعيده اليوم ونصر عليه، ويتمثل في إجراء استفتاء للشعب الفلسطيني بضمنهم اللاجئون الراغبون منهم في العودة إلى ديارهم ووطنهم، وهذا أمر منطقي حيث يعود الراغبون من اللاجئين في لبنان والأردن والكويت ومصر وسائر البلدان العربية إلى وطنهم وديارهم في فلسطين ـ ولا أقول أن يعاد أحد منهم بالقوة ـ وأولئك الذين كانوا في فلسطين قبل عام 1948 حيث قامت دويلة إسرائيل اللقيطة من مسلمين ومسيحيين ويهود، ومن ثم يجري استفتاء عام يحددون من خلاله النظام الذي يحكم فلسطين، وهذه هي الديمقراطية. أوَ تصلح الديمقراطية للعالم بأسره لكنها لا تصلح للشعب الفلسطيني؟! وكيف يحق لشعوب العالم التدخل في تقرير مصيرها ولا يحق ذلك للشعب الفلسطيني؟! لا يراود الشك أحداً في أن الكيان المتسلط على فلسطين حالياً إنما جاء بالقوة والمكر والخداع والضغوط ؛ فالصهاينة لم يأتوا مسالمين، وإنما جاؤوا تارة بالحيلة والخديعة، وأخرى بقوة السلاح والضغوط ؛ لذلك فهو كيان مفروض.
فليُجْمَع الشعب الفلسطيني ويصوّتوا لانتخاب طبيعة النظام الذي يحكم بلادهم، ثم يبتّ ذلك النظام أو تلك الحكومة بشأن الذين قدموا إلى فلسطين بعد عام 1948 أياً كان القرار، فإن قررت لهم البقاء بقوا وإن قررت ترحيلهم رحلوا ؛ وفي ذلك رأي الشعب والديمقراطية وحقوق الإنسان وما ينسجم مع المنطق السائد في العالم حالياً. هذا هو الحل الذي يفترض تنفيذه، وإن العدو إذ يرفضه صراحة، هنا يتعين على الأطراف المعنية بالمشكلة تحمل مسؤوليتها سواء الدول العربية أو الإسلامية والمسلمون في

أرجاء العالم وبالذات الشعب الفلسطيني وكذلك المحافل الدولية، فلكل مسؤوليته في الأصرار على وجوب تنفيذ هذا الحل المنطقي، ومن السهولة تحقيقه، ولا يقولنّ البعض هذا ضرب من الخيال والأحلام ومتعذر، كلا فهو ممكن ؛ فلقد عادت دول بحر البلطيق مستقلة بعد أكثر من أربعين سنة كانت فيها جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق، ودول القوقاز كانت رازحة تحت نير روسيا القيصرية منذ مائة عام أي قبل قيام الاتحاد السوفيتي لكنها نالت الاستقلال ؛ فها هي كازاخستان وآذربايجان وجورجيا تعيش مستقلة حالياً. إذن إنه ممكن وليس متعذراً، غاية الأمر أنه يستدعي إرادة وعزيمة وشجاعة وبطولة، ولكن من الذي عليه التحلي بالشجاعة؟! الشعوب أم الحكومات؟! إن الشعوب تمتلك الشجاعة ولا تعرف الخوف وقد عبرت عن أهبتها.

خطب صلاة الجمعة في طهران، 21/1/1423

النظرة الكونية والفكرية للإسلام

إن علينا واجبات عامة، سواء أ كان ذلك بصفتنا دولة وحكومة أو على المستوى الفردي بصفتنا أشخاصاً مسلمين، ولكن هذه الواجبات لها أساس فكري وتتمتع بخصوصية الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية والدينية. فإذا ما ناقشنا قضايا من قبيل الحرية، والسلوك الاجتماعي المتحرر، والارادة الشعبية، أو سواها من السياسات العامة، فلابد وأن نعلم بأن لكل منها مبنى وأساساً ؛ فلو سئلنا لماذا يحق للناس التصويت؟ فلابد وأن نأتي بدليل فكري ومنطقي ونوضح السبب. إن كل ما يدور في مجال التخطيط ويعطي للبرامج والمشاريع ملامحها الأساسية يتصل مباشرة برافد الفكر الإسلامي، ووجهة النظر الإسلامية، والانطباع الإسلامي، وكل ما يمثل ويجسّد إيماننا وعقيدتنا وديننا، فعلينا أن نوضح وظائفنا وواجباتنا ونشخّصها طبقاً لهذا الانطباع ثم نقوم بأدائها.
فما هو هذا المبنى الفكري؟ إن علينا أن نبدأ من هنا باختصار شديد ؛ أي من الخطوط الحقيقية لانطباع الإسلام ووجهة نظره حول الكائنات، والعالم، والإنسان. ولعل هذا لا يقتصر على الإسلام فحسب، بل إنه ينسحب أيضاً على كافة الأديان ـ إذا لم تكن قد مُنيت بالتحريف ـ حيث لا تكاد تخرج جميعاً عن هذا في مبناها الصحيح وأصولها الحقيقية. إلا أن الإسلام مازال ديناً صحيحاً لم تنله يد التحريف ويستند إلى مصادر موثقة، بينما تخلو الأديان الأخرى من مثل هذه المميزات.
إن هذه المنظومة المعرفية التي نستمد منها الخطوط الأصلية لمنهجنا وواجباتنا ـ أي النظرة الكونية والفكرية للإسلام ـ ذات فصول متعددة، لها جميعاً تأثيرات مختلفة في سلوك المرء فرداً كان أو حكومة، وسأكتفي هنا بعرض خمس من هذه النقاط المؤثرة
والمهمة التي وقع عليها اختياري:

1 ـ التوحيد
إحدى هذه النقاط هي التوحيد ؛ والمقصود بالتوحيد هو الإيمان بأن هذا التركيب المعقد والعجيب والمدهش جداً والمحكم للكائنات وعالم الخلق، من مجرات وأفلاك وحفر سماوية عظيمة وكرات لا عدّ لها ولا حساب وملايين المنظومات الشمسية إلى خلايا البدن الصغيرة وذرات المواد الكيميائية ـ تلك التي تتميز بنظم دقيق في هذا التركيب العظيم والمتنوع والمعقد الذي استنبطت منه آلاف القوانين، حيث إن الأنظمة الثابتة يمكن أن تستنبط منها القوانين التكوينية والثابتة ـ كلّها من صنع وإبداع فكر واحد وتدبير واحد وقدرة واحدة، ولم تخلق بمحض الصدفة. وهذا الإيمان هو أمر يقبل به كل عقل سليم وكل إنسان عاقل ومفكر لا يتسم بالاهتزاز الفكري أو العجلة في اتخاذ القرار أو الحكم المسبق على الأشياء.
والنقطة التالية هي أن هذا الفكر وهذا التدبير وهذه الحكمة والقدرة العظيمة اللامتناهية والتي لا توصف، تلك التي أبدعت هذا التركيب العجيب والمعقد، ليست صنماً من صنع الإنسان، ولا بشراً عاجزاً يدعي الألوهية، ولا شخصية رمزية أو أسطورية، وإنّما هي ذات الواحد الأحد المقتدر الأزلي الذي تسميه الأديان (إلهاً) وتستدل عليه بآثاره. إذاً فلابد من إثبات أن هذه القدرة والإرادة والدقة الموجودة وراء هذه الهندسة العظيمة والمعقدة، وإثبات أن ذلك المهندس المنقطع النظير والمستحيل على الوصف لا يشبه تلك الأشياء التافهة المستعملة التي يصنعها الإنسان بنفسه أو على صورته والتي تتسم بصفة الزوال كصانعها، بل {هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عمّا يشركون}.
إن كافة الأديان تشترك فيما بينها في هذه النظرة سواء الأديان القديمة، أو الإبراهيمية، أو ما قبل الإبراهيمية، وحتى تلك الأديان الإلحادية الهندوسية الموجودة حالياً. وإن الذي يقرأ (الفيدا) . يجد فيها عرفاناً توحيدياً خالصاً تزخر به كلماتها، ممّا يدل على أن عقيدتهم كانت تنبع من مصدر شفاف وزلال. إذاً فالتوحيد يمثل الركن الأساس لفكر ونظرة ورؤية هذا الإسلام الذي نريد أن نقيم على دعائمه هذه الحكومة وهذا النظام.

2 ـ تكريم الإنسان
وأمّا الركن الثاني فهو تكريم الإنسان، أو ما يمكن أن نسميه محورية الإنسان. ولا شك أن محورية الإنسان في الفكر الإسلامي يختلف تماماً عن محورية الإنسان في أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فهذا شيء وذلك شيء آخر ؛ فذلك يسمى أيضاً بمحورية الإنسان، ولكن لا وجه للتشابه إلاّ في الاسم. إن محوري الإنسان في الإسلام لا يراد به محورية الإنسان في أوربا بتاتاً، فهو شيء آخر. {ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض} ؛ أي إن الذي يقرأ القرآن ونهج البلاغة والمصنفات الدينية سيشعر جيداً بهذا الانطباع الذي يوحي بأن كافة هذا الكون وهذا الوجود الواسع يقوم على محور الوجود

الإنساني كما يرى الإسلام، فهذا هو محورية الإنسان.
لقد ورد في آيات كثيرة أن الله تعالى سخر لكم الشمس، وسخر لكم القمر، وسخر لكم البحر، ولكن هناك آيتان في القرآن الكريم توضحان هذا التعبير الذي أسلفته ؛ أي {سخر لكم ما في السموات وما في الأرض}. فما المراد بالتسخير؟ إنه يعني التسخير بالقوة لا بالفعل، حيث إنكم مسخرون بالفعل للسموات والأرض ولا تستطيعون التأثير عليهما كما ترون، وأمّا بالقوة فإنكم خلقتم بشكل وخلقت عوالم الوجود والكائنات بشكل آخر، بحيث تكون مسخرة لكم. فما معنى مسخرة؟ أي في قبضة يدكم وبإمكانكم استخدامها والانتفاع بها على الوجه الأفضل. وهذا يدل على أن هذا المخلوق الذي سخر الله له السموات والأرض والكواكب والشمس والقمر لابد وأن يكون عزيزاً ومكرماً جداً من حيث الإبداع الإلهي، وهو ما نجده في قوله تعالى {ولقد كرّمنا بني آدم}. فهذا التكريم الذي صرحت به الآية هو تكريم يشمل مرحلة التشريع كما يشمل مرحلة التكوين ؛ بمعنى التكريم التكويني والتكريم التشريعي بتلك الأمور المميزة والمنصوص عليها للإنسان في الحكومة الإسلامية والنظام الإسلامي ؛ أي أن الأسس هي أسس إنسانية تماماً.

3 ـ حياة الآخرة
وأمّا النقطة الثالثة من النقاط الأصلية والأساسية في الرؤية الإسلامية فهي مسألة استمرار الحياة وديمومتها بعد الموت ؛ أي إن الحياة لا تنتهي بالموت. وهذا المعنى يعتبر من الأصول الفكرية في الإسلام ـ بل وفي كافة الأديان الإلهية ـ وله تأثير كبير. وكما قلت فإن كافة هذه الأصول الفكرية ذات أثر في تنظيم العلاقات الاجتماعية وترسيخ قواعد الحكومة الإسلامية وفي إدارة المجتمع والحياة والعالم. إننا سوف ندخل مرحلة جديدة بعد الموت لا أن يفنى الإنسان ويتعرض للإبادة التامة، ثم ينتقل من هذه المرحلة إلى مرحلة أخري، حيث تقوم القيامة ويأتي يوم الدين والحساب وما إلى ذلك من مشاهد البعث والنشور.

4ـ الطاقة الإنسانية اللامحدودة لبلوغ الكمال
وأمّا النقطة الرابعة من النقاط الأساسية في هذا الفكر فهي عبارة عن تلك الطاقة اللامحدودة التي يتمتع بها الإنسان في توفير كل ما يلزمه من أجل الوصول إلى الكمال ؛ فلدى الإنسان قابلية الوصول إلى ذروة كمال حياة الممكنات، وهو ما تفتقر إليه بقية المخلوقات الأخري. ومعنى {أحسن تقويم} في قوله تعالى في الآية الشريفة: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} ليس المراد به التناسق بين الرأس والقلب والعين والبدن مثلاً في خلقة الإنسان، فهذا ما لا يقتصر على الإنسان فحسب، بل إن الحيوانات الأخرى لتتميز به أيضاً، ولكن {أحسن تقويم} يعني أفضل وأحسن مقياس ؛ أي ذلك المقياس الذي لا يقف عند حد أو نهاية في نموّه وتطوره، فهو يذهب في عالم الوجود إلى حيث ما لا يوجد ما هو أبعد من ذلك ؛ أي يمكنه أن يرتقي ليصبح أعلى مرتبة من الملائكة وغيرها. وليس بمقدور الإنسان أن يطوي هذا المسير دون استخدام إمكانات عالم المادة، وهذا من المسلمات ؛ ولهذا يقول تعالي: {خلق لكم ما في الأرض جميعاً}. وعلى هذا الأساس فإن حركة التعالي والتكامل الإنساني ليست في فراغ، بل عن طريق استخدام الإمكانيات المادية ؛ أي لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل ينطلقان معاً ؛ بمعنى أن ازدهار الإنسان يتوازى مع ازدهار عالم المادة وعالم الطبيعة، حيث يؤثر أحدهما في تألقّ الآخر وازدهاره، ممّا يؤدي إلى تحولات وتطورات مدهشة.

5ـ سير العالم نحو الحاكمية الحقة
وأما النقطة الأخيرة في هذا المجال من الفكر الإسلامي فهي أن الإسلام يرى أن العالم يسير نحو الحاكمية الحقة وصوب الصلاح لا محالة. وكما أشرت سابقاً، وهآنذا أشير الآن أيضاً مجرد إشارة لأن المقام لا يحتمل التفصيل، فإن كافة الأنبياء والأولياء قد جاؤوا ليقودوا الناس إلى هذا الطريق الرحب الذي لو وضعوا أقدامهم عليه لتفتحت طاقاتهم تلقائياً، وإن الأنبياء والأولياء قد أرشدوا الناس إلى هذا الطريق الأصلي بعد انقاذهم من سبل الضلال ودروبه ووديانه وصحاريه وغاباته، ولكن البشرية لم تخطُ الخطوة الأولى بعد على هذا الطريق المستقيم ولم تصل إلى نقطة البداية، فهذا ما سوف يحدث في زمن ولي العصر (أرواحنا فداه) ، وإن كانت كافة هذه المساعي والجهود قد بنيت على أساس أن نهاية هذا العالم هي نهاية غلبة الصلاح، ولربما كان ذلك عاجلاً، أو آجلاً، ولكنه حادث لا محالة. وكما سيقهر الصلاح الفساد، فإن قوى الخير ستقهر قوى الشر. وهذه رؤية إسلامية لا ريب فيها.

الواجبات المترتبة على هذه الرؤية
وعلى هذا الأساس، فإن ذلك يؤدي إلى وجود نتائج عملية وواجبات لابد وأن ينهض بعبئها الإنسان المؤمن بهذه التعاليم. ولا فرق في ذلك بين أن تكون الحكومة إسلامية ومقاليد الأمور في أيدي أهل الحق، أو أن تكون الحكومة غير إسلامية ـ كما في عهد الحكومة الطاغوتية البائدة مثلاً، أو كحال الإنسان الذي يعيش بين الكفار ـ فهذه الواجبات والمسؤوليات التي سوف أستعرضها

تقع على كاهل كل إنسان في كلتا الحالتين. فما هي الواجبات التي تترتب على تلك الرؤية؟
لقد دونت بعضاً منها، ولسوف أستعرضها لكم فيما يلي:

1 ـ الإقرار بالعبودية والطاعة الله تعالي
إن الواجب الأول من هذه الواجبات هو الإقرار بالعبودية والطاعة الله تعالي. ولأن العالم له مالك وخالق ومدبر، ولأننا نعتبر جزءاً من أجزاء هذا العالم، فلابد على الإنسان أن يتحلّى بالطاعة. وهذه الطاعة تعني تناسق الإنسان مع الحركة الكلية للوجود والعالم، لأنه {يسبّح له ما في السموات والأرض}، {قالتا أتينا طائعين} ؛ فالسموات والأرض وكل ذرّة في العالم كلها تلبّي الدعوة والأمر الإلهي وتسير طبقاً للقوانين التي أحكمها االله تعالى وأجراها في الوجود.
إن الإنسان إذا اتّبع القوانين والأحكام الشرعية والدينية ـ التي علّمه إيّاها الدين ـ فسيكون قد شقّ طريقه وتحرك على نسق هذه الحركة الوجودية، وسيكون تقدمه أكثر يسراً، واصطدامه بالعالم أقل، وسيكون أقرب إلى السعادة والصلاح والفلاح بالنسبة له ولسائر العالم أجمع. وبالطبع فإن المقصود بعبودية الله هو معناها الواسع والكامل، وذلك لأننا قلنا بأن التوحيد هو الإيمان بوجود الله، وهو أيضاً نفي الأضداد وإنكار تلك الألوهية والعظمة المزعومة للأصنام والأوثان المصنوعة والناس الذين يدعون لأنفسهم الألوهية وأولئك الذين لا يفصحون عن ذلك بألسنتهم ولكنهم يمارسونه بكل وضوح في أعمالهم وسلوكياتهم.

2 ـ نفي الأنداد
فعمليّاً، هناك إذاً واجبان: الأول الاقرار بالطاعة الله تعالى والعبودية لخالق الوجود، والثاني الامتناع عن طاعة أنداد الله وعدم الانسياق لكل من يريد أن يفرض سلطانه على الإنسان في مواجهة سلطان الله. وإن ذهن الإنسان لينصرف حالاً إلى تلك القوى المادية والاستكبارية التي تمثل مصاديق ذلك، وإن كان المصداق الأبرز هو هوى النفس. إن شرط التوحيد هو معارضة هوى النفس حيث إن هوى النفس هو «أخوف ما أخاف».
والواجب الثاني هو أن يسعى الإنسان لتحقيق التقدم والرقيّ لنفسه وللآخرين، سواء في المجال العلمي، أو الفكري، أو الروحي والأخلاقي، أو الاجتماعي والسياسي ـ أي على المستوى الاجتماعي ـ أو في المجال الاقتصادي ؛ أي تحقيق الرفاهية المعيشية.
إن على الجميع أن يسعوا لتحقيق هذه الأمور: تقدم العلم وتطوره بالنسبة للجميع، وانتشار الأفكار السليمة والصحيحة، والعمل على تحقيق الرقيّ الروحي والمعنوي والأخلاقي، والتخلّق بالخلق الكريم، والتحلّي بمكارم الأخلاق، وتحقيق التقدم الاجتماعي البشري ؛ ولا يقتصر هذا على الأبعاد المعنوية والعلمية والأخلاقية للفرد فحسب، بل لابد أن ينسحب على المجتمع، وكذلك لابد من العمل على تقدم الشؤون الاقتصادية والرفاهية للإنسان، والذي يعتبر من الواجبات التي من شأنها حثّ الناس على التطلّع إلى توفير ما يمكن توفيره من وسائل الرفاهية وتفجير الطاقات الحياتية للبشرية. وهذا الواجب يعدّ من الواجبات العامة التي ينبغي أن يلتزم بها الجميع، ولا تقتصر على مرحلة بعينها أو تخص حكومة بذاتها، بل إنه من الواجبات التي لابد من العمل بها أيضاً حتى في عصر الحكومات غير الإلهية.

3 ـ تفضيل الفلاح الأخروي على المنافع الدنيوية
وأمّا الواجب الثالث فهو تفضيل الفلاح الأخروي على المنافع الدنيوية فيما لو تعارض أحدهما مع الآخر ؛ فهذا أيضاً من الواجبات العملية على كل من يؤمن بتلك الرؤية العالمية ؛ فلو حدث ووجدنا أحياناً أن المنفعة الدنيوية تتقاطع مع الأهداف الأخروية، فإنه يجب على الإنسان أن يبذل قصارى جهده لجعل هذه المنفعة الدنيوية منسجمة مع الأهداف الأخروية. وأما إذا تساوى الأمران، فعلى المرء إمّا أن يغض الطرف عن إحدى المصالح ـ مادية كانت أو متعلقة بالسلطة والمنصب والشهرة وما إليها ـ أو أن يضطر لارتكاب أحد الآثام المؤدية إلى الوزر الأخروي. إلا أن الاعتقاد بتلك النظرة يحتم على الإنسان تفضيل الجانب الأخروي وترجيحه ؛ أي أن يتغاضى عن تلك المصلحة وأن لا يرتكب ذلك الإثم. وهذا واجب على كل مسلم. كما أن عليه أن يبرمج نشاطاته وينظمها بالشكل الملائم لما ينبغي عليه بذله من جهود شاقة في الحياة الدنيا بلا منافاة مع الفلاح الأخروي والقيام بالواجبات التي يؤدي عدم أدائها إلى تعرض الإنسان للعذاب والوبال في الآخرة.

4 ـ ضرورة الجد والسعي والمثابرة
وأمّا الواجب الرابع فهو ضرورة الجد والسعي والمثابرة ؛ فالجد والكفاح هو أحد الواجبات الرئيسية على كل إنسان، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي متمثلاً في الحكومة أو السلطة، فيجب عليه أن يسعى ويجد على الدوام، وألاّ يكون نهباً للكسل والبطالة واللامبالاة. وقد يكون المرء منشغلاً بأحد الأعمال أو متقلداً لإحدى الوظائف، ولكنه لا يشعر بالمسؤولية إزاء واجباته

الأساسية، ويقول: لا علينا! فهذه هي الانحرافات الناتجة عن الهوى والهوس، والتي لا ينبغي الركون إليها أو الخضوع لها، بل لابد من مقاومة الكسل وحبّ البطالة، وأن يزيل من طريقه الأخطار ويتحمل الصعاب والمشاقّ، فهذا واجب من الواجبات. ولاشك أن يكون هذا الجدّ والجهاد جهاداً في سبيل الله، وهو ما سوف أعرضه في النقطة التالية.

5ـ الثقة بالنصر في كل الظروف والأحوال

وأما الواجب الخامس والأخير، فهو الثقة بالنصر في كل الظروف والأحوال، ولكن بشرط أن يكون هذا الكدح جهاداً في سبيل الله ؛ أي أنه لا يحقّ لمن يعكف على الكدح والجهاد أن يتسلّل اليأس إلى نفسه، وذلك لأن النصر بانتظاره بالتأكيد. وأمّا تلك الحالات التي لم يكن النصر حليفه فيها، فلأن الجهاد لم يكن في سبيل الله، أو لربما لم يكن ثمة جهاد في الأصل. فما هو شرط الجهاد في سبيل الله؟ هو أن يكون الإنسان مؤمناً بسبيل الله وعلى علم به حتى يستطيع الجهاد فيه.

إن هذه الواجبات تقع على عاتق الإنسان بصفته فرداً، وعلى كاهل الجماعة بصفتها حكومة. وكما أسلفت فإن ذلك لا يتعلق فقط بمرحلة السلطة والحكومة التي يمسك بزمامها الآن جماعة من المؤمنين بالله والإسلام، بل إنها واجباتنا دائماً، وحتى عندما كانت مقاليد الأمور بيد الأعداء، والطاغوت، والمفسدين في الأرض، فقد كان البعض يقوم بها والبعض الآخر يهملها مع اختلاف درجات ومستويات الأداء. وأمّا الآن فهذه الواجبات تقع على عاتق المسلمين كافة مع التفاوت في تحمل المسؤوليات بالطبع.

لقد كان الواجب الأساس على كافة الأنبياء والأئمة والأولياء هو أن يبينوا للناس هذه الواجبات، ويستوي الأمر في ذلك بين المراحل التي يتقلدون فيها الحكم أو التي يعجزون فيها عن ذلك ؛ فعند استتباب الأمور كانوا يأمرون الناس بالمجاهدة والجهاد وإقرار الحكم واستخدام الأساليب الإدارية الملائمة، ولقد جاهد الجميع وقاوموا {وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيون كثير}.

إن الجهاد والنضال السياسي ومواجهة الأعداء لم يشرّع في الإسلام لأول مرة في التاريخ، بل كان في شرائع الأنبياء السابقين أيضاً ـ الأنبياء العظام الإلهيين منذ زمن إبراهيم وفيما بعد ـ ولربما كان مشروعاً قبل إبراهيم (ع) كذلك، وهو ما لا أدريه.

وعلى هذا فإن هذه الواجبات هي الواجبات التي يدعونا إليها الأنبياء.

كلمة سماحته عند لقائه كبار مسؤولي النظام الإسلامي، 5/9/1421

لماذا وقعت الثورة الإسلامية وكيف انتصرت؟

كانت ثورتنا نهضة جماهيرية كبرى ضد حكومة اتصفت تقريباً بكل ما قد تتصف به حكومة سيّئة من سلبيات ؛ اذ كانت فاسدة، وعميلة، وفرضت على الشعب بانقلاب عسكري، وكان ينقصها التدبير والكفاءة. وسأقدّم في ما يلي شرحاً لكل واحدة من الخصائص الأربعة التي ذكرتها آنفاً.

كانت الحكومة السابقة فاسدة مالياً وأخلاقياً، ويكفي من فسادها المالي ان الشاه نفسه وأسرته كانت لهم يد في أغلب الصفقات الاقتصادية الضخمة للبلد، وكان هو وإخوته وأخواته من الذين جمعوا اكثر الثروات، وكان رضا خان قد جمع خلال فترة حكمه البغيض الذي امتد على مدى ستّ أو سبع عشرة سنة اموالاً طائلة. ولا بأس ان تعلموا ان بعض مدن البلاد ـ كما تشير الوثائق والمستندات ـ كان ملكاً صرفاً لرضا خان ؛ فمدينة فريمان على سبيل المثال كانت برّمتها ملكاً خاصاً لرضا خان! وكانت أفضل الأملاك وأخصب الاراضي في هذا البلد ملكاً له ؛ حيث كان له ولع شديد بمثل هذه الاملاك وبالمجوهرات. في حين كان لأولاده مشارب أكثر شمولاً ؛ إذ كانوا يرغبون في اية ثروة كانت ويستحوذون على كل ما تطاله أيديهم، وأوضح دليل على ذلك انهم حينما خرجوا من البلد كانت ثرواتهم في المصارف الاجنبية تقدر بمليارات الدولارات. ولعلكم تعلمون اننا حاولنا من بعد الثورة استرجاع اموال الشاه، ولكن كان من الطبيعي جداً ان لا يُلبى طلبنا. كان مجموع اموال هذه الأسرة يقدر حينذاك بعشرات المليارات من الدولارات. واتجه كل واحد من اعضاء تلك الاسرة نحو دولة معيّنة وصاروا من كبار الاغنياء هناك. ومن الطبيعي انهم لم يحصلوا على تلك الاموال بكدّهم ولا بعرق جبينهم، وانما استحوذوا عليها بأساليب غير مشروعة. فكيف كانت اذن طبيعة نظام غارق في مثل هذا الفساد المالي وكيف كان يتعامل مع ابناء الشعب.

اما فسادهم الأخلاقي فقد كان معروفاً من خلال عصابات التهريب التي كانت تمارس نشاطها بإمرة إخوة الشاه وأخواته، وكانت هناك فضائح أخلاقية وجنسية يندى لذكرها الجبين. وقد نشر في ما بعد بعض أفراد الحاشية والمقربون من تلك الاسرة شيئاً من تلك الفضائح في ما كتبوه من مذكرات.

كان الفساد الاداري مستشرياً في كل الارجاء ؛ ولم تكن الكفاءة تراعى عند اختيار المدراء والمسؤولين، وكل ما كان يؤخذ بنظر الاعتبار في مثل هذه الشؤون هو علاقاتهم الشخصية وتوجهات الاجهزة الجاسوسية والأمنية الأجنبية.

لاحظوا اذن مدى سوء الحكومة التي كانت تأخذ الرشاوى، وتكتنز الثروات، وتتعامل بالتهريب وتخون الشعب. ولو شاء المرء تدوين كل هذه الامور بأدلتها وشواهدها لاستلزم ذلك مجلدات ضخمة.

وكانت القطيعة بينهم وبين أبناء الشعب سبباً لعمالتهم للأجانب واستنادهم اليهم للحفاظ على سلطتهم ؛ فمن الحقائق التاريخية المسلّم بها هي ان الانجليز هم الذين جاؤوا برضا خان الى السلطة، وهم الذين ثبتوا محمد رضا على رأس الحكم. ومن بعد عهد مصدق خطف الامريكيون زمام الامور من الانجليز ودبّروا تلك المؤامرة وتسلطوا على شؤون البلاد وأصبح هنالك عشرات الآلاف من المستشارين الامريكيين في اهم المراكز العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية، ويشغلون مواقع حساسة ويحصلون على اموال طائلة ؛ وكانوا في الحقيقة هم الذين يسيّرون شؤون البلاد ويوجهونها حسب ما يشاؤون. وكان الامريكيون والاسرائيليون هم الذين أسسوا الجهاز الأمني في إيران.

وعلى الصعيد السياسي كانت الحكومة خاضعة لتوجيهات الانجليز، في حين خضعت في الآونة الاخيرة لتوجيهات الامريكيين. وكانت سياستها على الصعيد الاقليمي والعالمي، بل وحتى في المجالات الاقتصادية ـ من قبيل اسعار النفط وكيفية بيعه، والكيفية التي يجب ان تكون عليها اوضاع شركات النفط الاجنبية في إيران ـ قائمة على تنفيذ ما يُملى عليها. وكانت طبعاً تأخذ مصالحها الخاصة بنظر الاعتبار. ولم تكن تلك التضحيات من اجل الأجانب أنفسهم، وإنما لغرض الحفاظ على حكومتهم. ولهذا فسحوا المجال للأجانب وبسطوا أيديهم تماماً للتطاول على البلد وعلى الشعب، واعتمدوا عليهم في كل شيء.

هذا فضلاً عن ان تلك الحكومة جاءت بواسطة انقلاب عسكري وفرضت على الشعب فرضاً ؛ فقد جاء كل من رضا خان، ومحمد رضا الى السلطة عبر انقلاب عسكري. ومن الواضح ان الحكومة التي تفرض على الشعب من خلال انقلاب عسكري لا تحترم آراء الشعب ولا معتقداته ولا إرادته، ولم تكن ثمة صلة حميمة بين الحكومة والشعب ؛ بل كانت العلاقة عدائية، علاقة أسياد وعبيد ؛ لأن النظام كان ملكياً، وهذا هو معنى الملكية ؛ أي انها كانت حكومة مطلقة لا تقيّد بشيء أمام الشعب. وهكذا حكمت الأسرة البهلوية بلدنا على مدى خمسين سنة.

وأخيراً كانت تلك الحكومة لا تملك الكفاءة ؛ فكل مواطن في هذا الدولة يعلم تماماً ـ وخاصة انتم الشباب ـ اننا يجب ان نبذل جهوداً لسنوات طويلة حتّى نتمكن من بلوغ المكانة اللائقة بنا في الحقول العلمية والصناعية والتقنية، والتقدم في ميادين

البحوث والدراسات. وهذا التخلف الذي نعيشه ناجم عن حكم استمر خمسين سنة لنظام غير كفوء لم يستثمر طاقات هذا الشعب، ولا الامكانات الهائلة في هذا البلد. وأنتم اليوم تلاحظون الطاقات العلمية المتفجرة لدى شبابنا في المسابقات العلمية العالمية، بينما لم يكن يُعتنى بهذه الطاقات ولم تستثمر في تلك الآونة، وانما تُستعمل في اطار رغباتهم ومآربهم الخاصّة، ولهذا هاجر الكثير من اصحاب الطاقات والكفاءات، بينما بقي الكثير منهم، ولكن بدون ان تزدهر طاقاتهم وكفاءاتهم أو ان ينتفع منها في عمل ما.

لقد تركوا وراءهم بلداً مدمّراً تماماً. وفي مرحلة ما بعد الحرب كان اكبر همّنا يتركز على بناء ما دمّرته الحرب، ولكننا وجدنا الدمار الذي خلّفته الحرب يقل كثيراً عمّا خلّفته الأسرة البهلوية من دمار طوال سنوات حكمها على هذا الشعب.

وفي عام 1341 [1962م] عندما ارتفعت صيحة الامام اخذت حيّزها في القلوب وتفجّر غضب الجماهير ؛ اذ كان البعض قد ألف الاوضاع حينذاك، بينما اثارت سخط الكثيرين من أبناء الشعب. واعلموا ان الامام حينما رفع صوته لم يكن حينها مرجع تقليد معروفاً ؛ فعلى الرغم مما كان له من وجاهة وشهرة ومكانة مرموقة في قم بين العلماء والاكابر والفضلاء وطلبة الحوزة العلمية، إلا انه لم يكن معروفاً لدى عموم أبناء الشعب، ولكن بما ان تلك الصيحة كانت صيحة حق وكانت منطلقة من إرادة الجماهير وقائمة على أسس الدين، فقد دوّت أصداؤها في كل الأرجاء تلقائياً وتداولتها الألسن وتناقلتها الأيدي وانتشرت في كل مكان وغرست حب الامام في القلوب. فالإمام الخميني الذي لم يكن يتمتع بتلك الشهرة في عام 1341 [1962م]، أضحت له مكانه في القلوب في خرداد عام 1342 [حزيران 1963م] الى درجة دفعت بالشعب الى النهوض ضد الحكومة في الحادثة المعروفة بحادثة الخامس عشر من خرداد، التي أسفر عنها مقتل الآلاف من الاشخاص في سبيل الامام. وقد جاء هذا كله اثر أحقية تلك الصيحة.

لقد بين الامام للشعب تعاليم الإسلام ومعنى الحكومة ومعنى الشخصية الإنسانية، وشرح له طبيعة ما يجري عليه وكيف ينبغي ان تكون حياته ؛ وهي حقائق لم يكن الآخرون يجرؤون على التصريح بها، إلا انه صرّح بها جهاراً لا همساً ولا على شكل منشورات ولا بأساليب سرية وخلايا تنظيمية كما تفعل الاحزاب عند طرح الامور لكوادرها، لقد اتبع الامام الخميني اسلوب الجرأة والصراحة في بيان الحقائق للناس، ولهذا لبّى أبناء الشعب نداءه.

لقد مرّت خمس عشرة سنة عصيبة منذ ان بدأ الامام نهضته الى حين انتصار الثورة ؛ وخلال تلك الفترة فهم تلاميذ الامام وأنصاره وأصدقاؤه وعموم أبناء الشعب عمق ومضمون رسالة الامام، فتداولوها ونشروها بين مختلف الاوساط والشرائح الاجتماعية. وأدى تداولها وتدارسها والثبات عليها الى خلق مشاكل جمّة لأولئك الناس ؛ فاستشهد الآلاف منهم، وطال التعذيب أضعاف ذلك العدد.

لقد كان عهداً عصيباً حقّاً، حتى ان البعض لم يشعر بالطمأنينة والراحة في بيته حتّى ليلة واحدة، ولم يخرج من بيته يوماً وهو آمن من أنه لن يصيبه في ذلك اليوم مكروه. وكان الامام يقود تلك المسيرة بعزم وحكمة وشجاعة طوال تلك المدّة، الى ان تعاظمت في السنة الاخيرة الامواج الجماهيرية الهادرة ؛ وحيثما نزل أبناء الشعب الى الساحة بدوافع إلهية ودينية وبعيداً عن المطامع المادية، لا يمكن لأية قوّة ان تقف بوجههم، أو كما قال الامام انهم لم يستطيعوا بكل ما لديهم من معدّات وتجهيزات الوقوف بوجه شعبنا الاعزل. وهكذا وقعت هذه الثورة وانتصرت.

كلمة سماحته عند لقائه نخبة من الشباب الإيراني، 17/10/1419

مميزات الثورة الإسلامية

تكلّموا في الثورة آلاف الساعات ابتداءً من إمامنا العظيم (رض) الّذي كان الفاتح لهذا الطريق والمتقدّم الأوّل في هذا الصراط المستقيم وانتهاءً بكلّ الّذين تحرّكوا في هذا الطريق وعملوا شيئاً في هذا السبيل وكسبوا معرفة وتحدّثوا بحديث، طبعاً تحدّثوا في هذه الأحاديث عمّا هو مؤثر ومفيد جدّاً.

وهنا أريد ذكر هذه الجملة الاعتراضيّة، وهي: نحن أبناء الشعب الإيراني بالرغم من اننا الّذين لمسنا الثورة بكلّ وجودنا، إلاّ أننا قليلاً ماقمنا بتحليلها وتقييمها، خلافاً للأجانب الّذين ارتبطوا بهذه الثورة من بعيد أو قريب والّذين كان ومازال من بينهم ممّن دخل هذا الميدان بأهداف سيّئة. والآن فإنّهم ينفقون الأموال الّتي لو قلنا انّها تبلغ المليارات لم نبالغ في ذلك، وكلّ ذلك من أجل أن يوصلوا صوتهم إلى أبناء الشعب ويثبتوا أمراً ـ ولو من خلال تحاليلهم الكاذبة ـ قد نفته الثورة، أي أننا يجب أن نعترف أنّ تحليل الثورة هو أمر يبذل فيه الأعداء اليوم جهوداً أكثر ممّا نبذل فيه نحن، وهم يقومون بهذا العمل بهدف قلب نداء الثورة وإظهار الحقيقة خلافاً لما هي عليه ؛ تلك الحقيقة الّتي وقعت أمام أنظار الشعب الإيراني وعلى يد أبنائه. وعلى هذا يجب جمع الأحاديث الّتي تحدّث بها أبناء الثورة عن ثورتهم وتبويبها وأن ينجز عليها عمل ثقافي صحيح، والّذي لم ينجز من قبل أو أن ما انجز كان قليلاً جدّاً، وأن لا يكون ذلك مانعاً أمام شبابنا ليفهموا الحقائق. فاستمعوا للأحاديث الّتي تحدّثت بها شخصيّات الثورة والناطقين باسمها الثلاثة عشر عاماً وتأملوا فيها جيّداً.

وإنّني اليوم أودّ التحدّث شيئاً ما عن جوانب من هذه الثورة.

فإحدى النقاط الّتي قليلاً ما تمّ التعرّض لها في باب هذه الثورة هي أنّ ثورتنا العظيمة كانت ثورةً استثنائيّة في نوعيّة الانتصار الّذي حققته، يعني أنّ ثورةً شعبيّة بهذه الأبعاد الشعبيّة العظيمة انتصرت من خلال تواجد أبناء الشعب في الشوارع وفي المدن والقرى وممارسة الجهاد ضدّ النظام الحاكم. فمثل هذه الثورة لم يكن لها نظير ولا سابق في الثورات المعاصرة على أقلّ تقدير.

فجميع الثورات الأخرى الّتي وقعت في العالم حتّى ذلك التاريخ (تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة) ومنها الثورات اليساريّة والماركسيّة في أمريكا اللاتينيّة وأفريقيا وآسيا والمناطق الأخرى من العالم كانت من نوع آخر.

فهذه الثورة لم تنتصر بواسطة مجموعة ثوريّة مسلّحة، طبعاً كان يوجد في إيران بعض الأحزاب الّتي كانت تقوم بالأعمال المسلّحة إلاّ أنّ تلك المجموعات والأحزاب كانت قد شُلّت عن العمل تماماً حوالي عامي (1354 ـ 1355هـ. ش) ، وبإمكانكم أن تسألوا أولئك الّذين كان لهم تواجد فعّال في مجال الثورة في تلك الأيّام فقد شاهدنا ذلك بأمّ أعيننا. وعلى الشباب الّذين لا يملكون معلومات مباشرة عن الأوضاع والظروف في تلك الفترة أن يسألوا الّذين كانوا يعيشون في قلب الأحداث في تلك الأيّام.

ففي الأعوام 1354 ، 1355 وحتّى 1356 هـ. ش خرجت المجموعات الّتي كانت تقوم بالنشاطات المسلّحة من ساحة المواجهة تماماً ؛ سواء أولئك الّذين كانت لهم أفكار ماركسيّة، أو الّذين كانوا يحملون أفكاراً التقاطيّة، وقد تحوّل نشاطهم إلى أن يفجّروا قنبلة في زاوية ما من هذه البلاد أو القيام باغتيال شخص في مكان ما، وكلّ تلك الأعمال والنشاطات بالقياس إلى ما يقع اليوم في دولة كالدول العربيّة (ولا نريد ذكر أسماء) . فأنتم تسمعون أنّ الإسلاميين في تلك الدول العربيّة يقومون ببعض الأعمال المسلّحة ولديهم مواجهات مع السلطات الأمنية هناك وما كان يقع في إيران في تلك الفترة لا يساوي عُشر ما يقع هذه الأيّام في تلك البلدان العربيّة، فلاحظوا كم أنّ هؤلاء الإسلاميين قريبون من الانتصار، عند ذلك يكون بإمكاننا أن ندرك كم كان من الممكن أن تنتصر تلك المجموعات المسلّحة في إيران، وأساساً كان تصوّر انتصار حركة مسلّحة في إيران تصوّراً مستحيلاً ولم تكن توجد إمكانية لوجوده.

وإضافة إلى ذلك فإنّ الانقلاب العسكري لم يكن ممكن الوقوع أيضاً، فبعض هذه الثورات أو ما يسمّى بالثورات تبدأ بالانقلاب العسكري، بينما كان العسكريون في إيران يعيشون في إطار محدود تماماً حُدّد لهم من قبل الأمريكان في إيران. فكثير من العسكريين كانوا ناقمين على النظام الشاهنشاهي الظالم ولا سيما الشباب والمراتب الأصغر إلاّ أنّ أحداً لم يكن يجرأوا على التفكير في مواجهة النظام.

ولو أردنا أنّ نقيس وضع الجيش في إيران افترضوا أنّه كان يعيش في ظروف مماثلة لما يعيشه الجيش العراقي اليوم فهو أسير تماماً في قبضة النظام الحاكم في العراق، طبعاً كان العسكريون في إيران أشدّ أسراً منهم في العراق اليوم ؛ لأنّ الرقابة عليهم لم تكن من قبل سلطة عليا فحسب بل كان للأمريكان تواجد وإشراف مباشر في داخل الجيش، وكان يتواجد آلاف الأمريكيون في أكثر المعسكرات ولا سيما المعسكرات المهمة والحسّاسة وفي بعض القوّات أيضاً. على هذا لم يكن متصوّر أن يقع انقلاب عسكري في إيران، كما أنّ الأحزاب السياسيّة الّتي كانت توجد في إيران كانت عاجزة عن التحرّك تماماً. فالأحزاب الوطنيّة الّتي

تشاهدونها اليوم وهي تستغل الحرية والكرامة الموجودة لدى الجمهوريّة الإسلامية، وهؤلاء (السادة) الّذين يتحدّثون ضدّ الجمهورية الإسلاميّة وتُجرى معهم المقابلات ويوزّعون المنشورات ويتّهمون الجمهوريّة الإسلاميّة بمصادرة الحرّيات، هؤلاء السادة كانوا موجودين في تلك الفترة أيضاً، ولم يصدر منهم في ذلك التاريخ أي تحرّك ـ يمكن أن يسمّى تحرّك ـ في سبيل تحرير إيران. فقسم منهم كانت تربطه علاقات صداقة مع رجال البلاط وكانوا مشغولين مع بعضهم في اللّذات والشهوات، وبعضهم كان قد انشغل بأعماله المعيشيّة، وبعضهم كانوا مهندسين وأخصّائيين، وقد كانوا يأخذون الأموال من أجهزة البلاط ويحصلون على لقمة العيش عن هذا الطريق.

وقد مرّت تلك الفترة على هؤلاء إلى أن قامت الجمهورية الإسلاميّة ـ والحمد الله ـ ووجد جوّ سياسي مفتوح وأصبح جميع أبناء الشعب سياسيين. والآن فقد انطلقت ألسنة هؤلاء. إنّ الشعب الإيراني لا يثق بهذه الأحزاب السياسيّة وبما أنّه لا يثق بها ولا يتّجه نحوها فإنّها تحاول صبّ حقدها ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة، فالشعب هو الّذي لا يثق بهم وبأحزابهم وليس ذلك من تقصير أحد، فهل منع أحد الناس من أ يثقوا بتلك الأحزاب؟

وأفضل تلك الأحزاب في تلك الفترة هي الأحزاب الّتي كان يوجد فيها شخصان أو ثلاثة يمتلكون شيئاً من الشجاعة، فكانوا يصدرون بياناً في قضية ما، وطبعاً هذا البيان لم يكن يوزّع على مستوى واسع بل كان يتداوله مؤيّدوهم فقط. مثلاً كانوا يعترضون على مسألة ما في بيانهم، ثمّ كانت تأتي السلطات وتعتقلهم وتلقيهم في السجون وبعد ذلك تطلق سراحهم، أو أنّها كانت تطلق سراحهم بعد إجراء مقابلة معهم، أو أن تنتهي فترة سجنهم فيُطلق سراحهم، فكان أمثال هؤلاء من أفضل تلك الأحزاب. ومن ناحية اُخرى لم يكن عمل هذه الاحزاب يثير تحرّكاً شعبياً في أوساط الشعب الإيراني ؛ لأنّ الشعب الإيراني شعب متديّن ويؤمن بالعلماء. وهذه هي النقطة الّتي أدّت فيما بعد إلى الانفجار العظيم للشعب ضدّ النظام الشاهنشاهي الفاسد.

ثمّ دخل الساحة مرجع تقليد يتّفق الجميع على صلاحه، عالم دين ذو شأن عظيم كلّ من عرفه عرفه بالصلاح ؛ حتّى أنّ أعداءه كانوا يعترفون بأنّه إنسان صالح، كلّ ما في الأمر أنّهم كانوا ينسبون إليه بعض العيوب، مثلاً يقولون: إنّه لم يعير لنا أهمّيّة في المسألة الفلانيّة، أو إنّه يؤمن بالنظريّة الفلسفيّة الفلانيّة، إلاّ أنّه إنسان صالح ومتّق على مستوى عال وله مكانة علميّة رفيعة.

والأهمّ من كلّ ذلك أنّه دخل ساحة المواجهة مسدداً بالتسديد الإلهي. وعلى طول خمسة عشر عام استطاع أن يحرّك معه عدداً من تلاميذه وزملائه على مستوى مراجع الدّين الآخرين.

وحينما شاهد الناس أنّ العلماء هم المحرّكون للثورة بدأوا يدخلون ساحة المواجهة شيئاً فشيئاً في بداية الأمر ثمّ أخذوا يدخلون بأعداد كبيرة، وفي نهاية المطاف دخل عامة أبناء الشعب إلى ساحة المواجهة.

ففي عام 1356 هـ. ش قامت السلطات الشاهنشاهيّة بإبعادي إلى مدن مختلفة من البلاد، وحينما عدت من المنفى في أواسط أو أواخر عام 1357هـ. ش ذهبت إلى مشهد المقدّسة وما شاهدته في مشهد لم أكاد اُصدّقه، وعلى الرغم من سماعنا للأخبار حينما كنّا في المنفى، إلاّ أنّ الحقيقة على الأرض كانت حقيقة عظيمة، فقد كانت التظاهرات متواصلة في مشهد ليل ونهار، وأنّ الناس هناك كانوا قد اعتادوا على الخروج في التظاهرات، وفي كلّ مكان كان الأمر كذلك. فطهران كانت هي المحور ومن ثمّ المدن الكبيرة والصغيرة وحتّى القرى والأرياف كانت تقام فيها التظاهرات والمسيرات.

افترضوا أنّ الدعوة كانت تُعلن إلى القيام بتظاهرة من قبل الإمام ـ الّذي كان في باريس تلك الأيّام ـ أو من قبل العلماء الكبار في طهران أو المدن الاُخرى فكان الناس يخرجون على أثر ذلك إلى الشوارع كالسيل العارم، ومن ثمّ أخذت دوائر الدولة تلتحق بالشعب تدريجيّاً والتحق الموظّفون. ثمّ أخذ منتسبوا الجيش باللّحوق في ركب الثورة، وحتّى المسؤولين في النظام السابق أخذوا يلتحقون بصفوف الثورة أيضاً. وهذا هو معنى انهيار نظام من الأنظمة، فقد انهار النظام الشاهنشاهي.

ففي اليوم الّذي هرب فيه الشاه من إيران كان النظام منهاراً ومنتهياً، وقد رأى (الشاه) بأنّه لا فائدة من البقاء في إيران، فصنعت القوى الاستعماريّة من إنسان مسكين وسيىء الصيت (شاهبور بختيار) صنماً، وكان مخططاً أن يبقوه في السلطة عدّة أيام، وقد بقى في تلك السلطة أربعين يوماً فقط. وحينما عاد الإمام إلى البلاد إنتهى كلّ شيء بإشارة صغيرة منه. فبسبب تواجد الشعب في ساحة المواجهة كان النظام قد انهار وتمزّق من الداخل.

فلماذا دخل الناس إلى ساحة المواجهة بهذه الصورة؟ لقد كان دخول الشعب من أجل الدين، من أجل أنّ الشعار كان شعاراً إسلاميّاً، من أجل تواجد العلماء في الساحة ومن ثقة الشعب بهم. ففي أوساط الشعب كان يوجد عدد كبير ممّن يقدّم العون والمشورة للعلماء ؛ حتّى أنّهم في بعض المدن كانوا يرشدون العلماء. إلاّ أنّ عامّة الناس شاركوا في الثورة ؛ لأنّهم كانوا يرون العلماء في المقدّمة، وفي القمّة كان يقف الإمام الّذي كان مرجعاً للتقليد وعلى مستوى ديني رفيع، كما كانوا يشاهدون في كلّ مدينة العلماء المحترمين وهم يتقدّمون صفوف الثورة، وهكذا وقعت هذه الثورة العملاقة.

حسناً، كانت هذه الثورة ثورة استثنائيّة، ثورة قامت نتيجة لتواجد أبناء الشعب وتضحياتهم، وهذا التواجد كان ناشئاً من العقائد الدينيّة لأبناء الشعب، حتّى إنّ نفس السياسيين الّذين كانت لهم معنا اجتماعات في تلك الأيّام، وحتّى تلك المجموعات

المسلّحة واليساريين والشيوعيين الّذين كانوا جميعاً تربطهم معنا علاقات وصداقات ؛ سواء كان ذلك في داخل السجون أو خارج السجون كلّ هؤلاء كانوا يعترفون بأنّه لم يكن من الممكن أن يقع في إيران ما وقع إلاّ بقيادة شخص كالإمام، وطرح هذه الشعارات الدينيّة. هذه حقيقة وقعت إمام أعين الجميع. وكلّ من له مستوى علمي لا يمكنه أن يقول غير هذا.
وفي الأيّام الأولى لانتصار الثورة لم يقل أحد غير هذا باستثناء بعض الزمر الوقحة الّذين أخرجتهم الثورة. وتواجد الشعب في ساحة الثورة من السجون التي كانوا قابعين فيها لسنوات طويلة (4 أو 5 سنوات) . وبمجرّد خروجهم من السجن قاموا برفع أعلامهم أمام الجماهير فقامت الجماهير بتمزيق تلك الأعلام ورميها بعيداً، ومن ذلك الحين أضمروا العداوة لأبناء الشعب وابتعدوا عنهم وأخذوا يفجّرون القنابل في بيوت الناس ومحلاتهم التجاريّة وفي الساحات العامّة في طهران والمدن الأخرى.
فباستثناء هؤلاء المعاندين الّذين لم يكونوا على استعداد لقبول الحقّ فقد كان أيّ إنسان ينظر بعين الإنصاف إلى هذه الثورة كان يرى تلك الحقائق واضحة أمامه.
طبعاً إلى جانب هذا أقول: إنّ هناك عوامل وأسباب كثيرة ساعدت على انتصار الثورة، فكلّ من تكلّم بكلمة فقد ساعدت كلمته بمقدار كلمة في انتصار الثورة، ولكن مساعدة الثورة بكلمة واحدة ومائة كلمة وكتاب شيء وتحريك أمواج الثورة شيء آخر.
وأساساً لايمكن القياس بين الاثنين فلا يكن هؤلاء كذاك الرجل الذي ألقى رجل جرادة في قِدر طعام مائة نفر ثم قال أنا صاحب الطعام" فيعتبروا أنفسهم من المحركين للثورة ومن قادتها. طبعاً جميع أبناء الشعب كانوا هم أصحاب الثورة، اولئك الذين وضعوا أرواحهم في مواجهة العدو، فهل يوجد شيء أكبر من هذا؟ إفترض أنني ألقيت ألف محاضرة وخطاب، فهل لهذه المحاضرات والخُطب قيمة بقدر نفس إنسان؟ هذا الإنسان الذي تقدّم وقدّم نفسه وسبقنا، فلو أردنا أن نتحدث بإنصاف، ويجب أن نتحدث هكذا وبهذه الصورة.

أمّا المسألة الأخرى التي تأتي عقب هذه المسألة في: أن مثل هذه الثورة العظيمة إنتصرت إذن بقوة الشعب وإرادته وبقادة أو قيادة اعتمدت بشكل كامل على عواطف الشعب، والشعب كان يحبّها ويعشقها. فماذا كان يجب أن تقوم به هذه الثورة؟

إنّ أول عمل هذه الثورة هي إلغاء الامتيازات الظالمة التي حصل عليها الاجانب طوال هذه السنوات في هذه البلاد، وهذا شيء طبيعي، فكل محبّ لوطنه كان ناقماً من ان يرى بريطانيا (مثلاً) جاءت وسيطرت على النفط الإيراني، وكل محبّ لوطنه كان يصيبه الحزن حينما يعلم بذلك. فكثير من رجال الدولة في الفترات السابقة وأعضاء مجلس الشورى الوطني في دوراته الثلاث الأولى ـ قبل أن يسيطر رضا شاه ـ الذين كانوا ممثلين حقيقين ومنتخبين من قبل الشعب، كانوا معارضين لمنح الامتيازات للدول الأجنبية، وحتى أن كثيراً من الشخصيات الوطنية الحقيقية لم يكونوا على استعداد لمنح الامتيازات للأجنبي، إلاّ أنّهم لم يكونوا يجرأون على إبراز ذلك ؛ لأن الشعب لم يكن يساندهم بسبب عدم وجود مكانة شعبية لهم بين أوساط الشعب. فحينما كان رئيس الوزراء يتفوّه بكلمة يُشمّ منها رائحة معارضة المصالح الأجنبية، كان يعزل من منصبه مباشرة، وعندما كان رجل دولة يتكلم بكلام تُشمّ منه رائحة الاعتراض على الامتيازات الأجنبية كانوا يبادرون إلى عزله فوراً.
فلو كان هذا الشخص كالمرحوم السيد المدرّس (رض) مقاوماً وصامداً بالرغم من الاعتداء عليه ونفيه ومن ثم قتله وهو صائم على يد شقي مثل رضا شاه، إلاّ أنّ هؤلاء لم تكن لهم شجاعة مدرّس وإيمانه، فحينما كانوا يتفوّهون بكلمة وينظر إليهم الأجنبي بعين الغضب كانوا يبادرون إلى السكوت فوراً، ولهذا فقد ازدادت الامتيازات الأجنبية في إيران يوماً بعد يوم.
أيّها الأخوة والأخوات في جميع أرجاء البلاد! لقد اكتُشف في هذه البلاد مصدر للثروة باسم النفط، وكان هذا المصدر كالكنز الذي عثر عليه الشعب، وبمجرد اكتشاف هذا الكنز في هذه البلاد توافد الأجانب على إيران ولا سيما الانكليز ـ وتبعية هذا الأمر تقع على عاتق الانكليز ـ وسيطروا على هذا الكنز واستخرجوه ونهبوه لسنوات طويلة من دون أن يفكروا أنّه مغتصب وأنّه ملك للشعب الإيراني. فهل هذا الأمر لا يحزّ في النفس؟
إن مسألة النفط هي إحدى المسائل المؤلمة جداً بالنسبة للشعب الإيراني، وهي مسألة لم توضّح لحد الآن بصورة كاملة، فقد جاء المستعمرون وأبرموا اتفاقية مع رجال الدولة الخائنين في العهد القاجاري لمدة ستين عاماً، وهي إتفاقية دارسي الأولى، أي أنّه أصبح لهم الحق ـ ولمدة ستين عاماً ـ بأن يأخذوا النفط الثمين الذي كانت تحتاج إلى المال، والمال كان يحصل من خلال عمل المصانع وعجلة تلك المصانع كانت تتحرك بالنفط. ولهذا فقد كان النفط الإيراني أثمن شيء بالنسبة لبريطانيا، فجاءت إلى إيران وأخذت النفط بقيمة زهيدة جداً بحيث لو أنّها كانت تأخذ برميل من الماء لكلّفها أكثر من قيمة برميل من ذلك النفط، وكما قلنا فقد أبرموا إتفاقية لمدة ستين عام في هذا المجال.
وبعد ذلك جاءوا برضا شاه إلى الحكم لأنّهم ـ الإنجليز ـ كانوا يبحثون عن شخص يتمكن من القضاء على الخارجين والمتمردين على الحكومة المركزية والذين كانوا قد تمرّدوا في مختلف أنحاء إيران في زمن الحكومة القاجارية، وكان كل واحد منهم يتخذ

لنفسه مسلكاً معيناً بحيث أصبح من الممكن أن يشكلوا ـ في السنوات الأخيرة من عهد تلك الحكومة ـ خطراً على المصالح البريطانية في إيران. فلذا كانت بريطانيا تريد شخصاً يضع حداً لتصرفات هؤلاء، ويُجلس كل واحد منهم في مكانه، وكانت تريد ان يكون ذلك الشخص استبدادياً لايعرف سوى منطق القوة ويكون في الوقت ذاته عميلاً وتابعاً لهم، فوقع اختيارهم على رضا خان واعدّوه الإعداد الذي يريدون وأوصلوه إلى المكانة التي كان يجب أن يصل إليها ومن ثم جعلوه حاكماً مطلقاً على إيران.

فأصبح قائداً للجيش في أول الأمر ثم رئيساً للوزراء وأخيراً نصبّوه ملكاً على إيران. وبعد مرور عدة سنوات فكر رضا شاه أن يأخذ من بريطانيا مبالغ أكبر من المال ـ إذا أمكنه ذلك ـ ثمناً للنفط الذي كانت تأخذه من إيران، طبعاً عمالته كانت محفوظة في محلها، ولكن قد يفكر العميل في بعض الأحيان ان يأخذ من أسياده أكثر مما منحوه، وبما أن طبيعة رضا شاه كانت طبيعة استبدادية، فقد تعامل مع هذه القضية بنفس المنطق، فطرح المسألة أولاً في مجلس الوزراء ثم قام بإلغاء ملف اتفاقية دارسي في المدفأة واحرقه. فكم كان متبقياً من مدة تلك الاتفاقية؟ لقد كان متبقياً منها ثلاثين عام، فقال رضا شاه إن هده الاتفاقية غير عادلة ويجب على بريطانيا ان تمنحنا أكثر من هذا.

ومن كان ممثلاً للحكومة الإيرانية في تلك الاتفاقية؟ كان الطرف هو احدى الشركات البريطانية، وبمجرد أن قام رضا شاه بهذه الخطوة، تدخلت الحكومة البريطانية وأثارت ضجة ضده ومرّغت أنفه بالتراب بحيث جعلته يقوم بتمديد العمل بتلك الاتفاقية ـ التي بقي على نهاية العمل بها ثلاثين عاماً ـ ستين عاماً اخرى. هذا ما قامت به بريطانيا في مسألة النفط، واستمر تصرفها هذا حتى زمن النهضة الوطنية ومجيء الدكتور مصدق إلى الحكم حيث نُقضت هذه الاتفاقية. وبعد ذلك جاءت حكومة الانقلاب العسكري [الذي أطاح بالدكتور مصدق]، فعاد الانكليز ولكن بالاشتراك مع أمريكا هذه المرة ودخل الأمريكان هذه اللعبة أيضاً منذ سنة 1332 ش. وهنا أريد أن أقول: إنّ الشعب الإيراني لو لم يمح عن قلبه الحقد والبغض ضد الحكومة البريطانية، فإنّ الحق معه بنظر كل إنسان عاقل.

فهذه الحكومة الظالمة والمعتدية وهؤلاء الذين يقبعون اليوم في زاوية من العالم ويتحدثون بأحاديثهم المغرضة والفارغة ضد الحكومة والشعب الإيراني، وقد نسوا ما ارتكبوه بحق هذا الشعب، طبعاً إنّ الله سبحانه وتعالى قد أذلّهم وسلب منهم تلك القوة والقدرة بحيث لم يبق لبريطانيا في الوقت الحاضر احترام أو قوة تذكر في العالم.

وبمجرد ما شعر الأمريكان بأن الساحة مفتوحة أمامهم وأنّ الإنكليز لا يستطيعون السيطرة عليها وحدهم، بادروا إلى دخول تلك الساحة أيضاً، ومنذ عام 1332 ش وحتى انتصار الثورة الإسلامية سيطرت أمريكا وبريطانيا على آبار النفط الإيراني وقاموا بنهب هذه الثروة بكل ما وسعته قدرتهم وإمكانياتهم، فهل تريدون من الشعب الإيراني أن يصفّي قلبه مع هؤلاء؟

إذن كان النظام البهلوي عميلاً لهذه الدول ومحمد رضا بهلوي كان يتصرف وكأنه شرطياً لأمريكا في إيران، فكانوا يأمروه بتعيين رئيس الوزراء الفلاني وعزل رئيس الوزراء الفلاني. وهو ينفّذ كل ما يطلبون منه، ولو كان يريد في بعض الأحيان أن يعزل رئيس الوزراء إلاّ أنّ الأمريكان لم يكونوا موافقين على ذلك، كان يذهب إلى أمريكا ويلتقي بهذا وذاك ويتباحث مع هذا وذاك حتى يسمحوا له بعزل رئيس الوزراء الفلاني. هذه هي الحالة التي كانت سائدة في البلاد، والسفير الأمريكي والبريطاني في طهران هما اللذان كانا يحددان الخطوط الأساسية لسياسة البلاد.

فهل تدركون الآن لماذا يغضب الأمريكان؟ وهل تدركون لماذا يقوم المسؤولون الأمريكان بجولات في العالم ـ ولا سيما وزير خارجيتهم القبيح والكريه ـ ويصرّحون بأننا نريد الضغط على الحكومة الإيرانية حتى تغير من سياساتها، فما هي السياسات التي يريد هؤلاء ان تتغير؟ ففي يوم من الايام كان حاكم هذه البلاد ـ ذلك الشخص الذي كان موجوداً في إيران ـ باسم شاه إيران، ذلك المسكين المسود الوجه الذي كان يمتثل الأوامر التي كانت تصدر إليه من سفير أمريكا وبريطانيا، وينفذ كل ما يقولون له في المسائل الاساسية للبلاد. بينما هم يواجهون اليوم نظاماً لا يعير أهمية لأهداف أمريكا في أي عامل من عوامل سياساته الأساسية، يواجهون نظاماً كانت أول خطوة قام بها هي إلغاء الامتيازات التي حصلوا عليها في إيران، وهذه حقيقة لا شك فيها في باب الثورة الإسلامية.

أمّا المسألة الثانية فهي: بما أن الثورة أوجدت نظاماً شعبياً، وبما أن هذه الثورة كانت تعتمد على الشعب، وبما أن قائد هذه الثورة كان محبوب الشعب والشعب يقف خلفه، فلذا لم تنتظر (هذه الثورة) مرور الوقت لإلغاء الامتيازات الأجنبية، بل قامت بإلغاء تلك الامتيازات بعد انتصارها مباشرة. طبعاً إننا لم نقطع علاقاتنا مع أميركا في بداية الثورة بل بقت هذه العلاقة وإلى عدة أشهر بعد انتصار الثورة قائمة مع أمريكا، وإنّما الغيت الامتيازات الأمريكية فقط.

إلا أنّهم كانوا يريدون نهب النفط الإيراني، فقلنا لهم لا يمكن ذلك، كانوا يريدون الاستفادة من عوائد الاستثمارات الظالمة التي كانت موجودة في إيران والتي كانت مستثمرة من قبل نفس الحكومة الإيرانية، فقلنا لهم لا يمكن ذلك، كانوا يريدون ان يكون لهم وجود في الجيش ولا سيما في القوة الجوية، فقلنا لهم لا يمكن ذلك. كانوا يريدون أن تكون قاعدتهم التجسسية ـ السفارة

الأمريكية السابقة ـ فعّالة ونشطة، فقلنا لهم لا يمكن ذلك.
فبقيت سفارتهم بعد انتصار الثورة مفتوحة لعدة أشهر وكان لهم سفير ومسؤولون وموظفون في تلك السفارة. وبعد ذلك ذهب طلبة الجامعة وسيطروا عليها، فوجدوا أن تلك السفارة كانت مركزاً للارتباط مع العناصر المعادية للثورة ولنظام الجمهورية الإسلامية، كانت وسيلة للأخذ والعطاء السياسي، وسيلة لدعم هذا الشخص وربطه بذاك، وهي نفس المهمة التي كانت تقوم بها السفارة البريطانية قبل الثامن والعشرين من مرداد [1332 ش وهو يوم وقوع الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكومة الدكتور مصدق] فقد كانت تتصل بهذا وذاك وتربط هذا بذاك وتعطي الأموال لفلان وتسلّم السلاح لآخر وترسم الخطط لفلان. كل ذلك من أجل ان يقع شيء ضد الجمهورية الإسلامية. ولذا فقد أطلق الشعب الإيراني اسم وكر التجسس على تلك السفاره، ولم يكن الواقع غير ذلك، فذلك المكان كان حقاً وكراً للجاسوسية.
إذن المسألة الثانية هي قيام الجمهورية الإسلامية بإلغاء المصالح الأمريكية والبريطانية في إيران، وان أغلب الذين الغيت مصالحهم غير الشرعية في إيران كانوا من هاتين الدولتين. طبعاً اننا احتفظنا بعلاقاتنا مع دول العالم، وإلى الآن لنا علاقات سياسية مع بريطانيا، إلاّ أنّ هذه العلاقة برأيي من نوع العلاقات المتزعزعة، والسبب في ذلك هو ان البريطانيين لا يستطيعون الامتناع عن إبراز عدائهم للثورة الإسلامية، وبين الحين والحين يقومون بلدغنا، وتصرفات الحكومة البريطانية هي هكذا دوماً.
وبرأيي فإنّ الافضل للحكومة البريطانية ان تكون حذرة أكثر في تعاملها مع إيران ؛ لأنّ ماضيها في إيران ماض أسود وسيء للغاية.
وبما أن الشعب والحكومة الإيرانية احتفظت بعلاقة سياسية مع تلك الدولة، فعلى البريطانيين أن يتصرفوا بحذر كبير. فلا يتحدثوا بشيء يشعر من خلاله الشعب الإيراني بأنّهم ما زالوا يحتفظون بنفس أهدافهم الخبيثة التي عملوا وفقها عشرات السنين، وإن كانت بريطانيا ليست بريطانيا تلك الايام، لأنّ بريطانيا تلك الأيام قد انتهت.

المسألة الاخرى التي أود التعرض لها في مسألة الثورة أيضاً ـ طبعاً لقد أطلت عليكم في الكلام وأنا ملتزم ان تكون الخطبتين قصيرتين، ولكن بما أننا في شهر رمضان، فلا مانع من استغلال هذه الفرصة بشكل أكبر ـ : وهي أنّ من الميزات المهمة لهذه الثورة هي منحها العزة للإسلام والمسلمين على المستوى العالمي، وهذا أمر واقع ولا يرقى إليه الشك.
فالمسلمون في أي مكان من العالم سواء كانوا مجتمعات إسلامية أو دول إسلامية أو شخصيات إسلامية كان ينتابهم الشعور بالانفعال من الظروف التي كانت تمر بهم، ولم يكونوا يعيرون أهمية لوجودهم ورسالتهم، وكانت هناك مجموعة من المفكرين المسلمين المخلصين تدافع عن الإسلام ؛ ولكن لم يكن دفاعهم قائماً على أساس الشعور بالعزة والاقتدار، بل كان قائماً على أساس الحب والتحرق على الإسلام فقط، لأن الإسلام كان يعيش الغربة. وفي كل هذا العدد من البلدان الإسلامية في أفريقيا وآسيا وفي الشرق الأوسط كم من الأنظمة جاءت إلى الحكم وكم من الأنظمة إنهارت، وفي جميع هذه البلدان كان الإسلاميون يعيشون العزلة والانزواء. افترضوا بلداً كالعراق (مثلاً) كان يحكم فيه نظام ملكي ثم سقط ذلك النظام وجاءت جماعة اخرى إلى الحكم، ثم ذهب هؤلاء وجاء آخرون إلى الحكم و.... إلى أن وصل الأمر إلى البعثيين، ففي جميع هذه الأحادث والتحولات لم يكن للإسلاميين أي دور. وبالرغم من وجود هذا العدد من المسلمين ـ لأنّ الغالبية العظمى من الشعب العراقي هم من المسلمين ـ، إلاّ أنّه لم يكن لهم أي دور في جميع هذه التحولات.
أو في مصر ـ وإن كان يوجد فيها الاخوان المسلمين ـ حدث هناك تغيير حيث سقط النظام الملكي وقام النظام الجمهوري الثوري وكان عبد الناصر موجوداً أيضاً، وبعد ذلك توفي عبد الناصر وجاء شخص آخر، ثم ذهب ذاك الشخص وجاء شخص ثلاث. ففي هذه الفترة ـ قبل انتصار الثورة الإسلامية ـ كانت جميع هذه الأحداث تقع بمنأى عن الخط الإسلامي والعناصر الإسلامية، ولم تكن للعناصر الإسلامية أية مكانة فيها.
فنفس الثورة المصرية كان للعناصر الإسلامية دور فعّال فيها، ولكن بمجرد قيام الحكومة لجديدة أبعدت تلك العناصر عن الساحة فسجنت بعضهم وأعدمت البعض الآخر وأخرجت الآخرين عن الساحة، فلم يكن للإسلام وجود. ولكن حينما إنتصرت الثورة الإسلامية: أولاً شعر كل مسلم واع إينما كان في العالم بأنّه أصبح يتمتع بالعزة والاقتدار. فكثير من الشخصيات الإسلامية البارزة كانوا يقولون لنا في السنوات الاولى لإنتصار الثورة: إننا وبمجرد سماعنا لصوت الإمام من الإذاعات وهو يعلن قائلاً: "إنني سأقيم حكومة أو جمهورية على أساس الإسلام" شعرنا وفي أي مكان كنا بأننا قد إنتصرنا، وكل مسلم وإينما كان شعر بأنّه قد انتصر وحصل على العزة والكرامة.
وصحيح بأنّ قادة المسلمين والشخصيات الإسلامية من المفكرين الإسلاميين والشعراء والفنانين والسياسيين وعلماء دين في السنوات الثلاث أو الاربع الأولى من إنتصار الثورة الإسلامية حينما كانوا يأتون إلى إيران ـ وما زالت الحالة كذلك كل ما في الأمر حدثت أنّه في الوقت الحاضر أمور جديدة نتيجة لمرور الوقت، وسأتعرّض لذلك فيما بعد ـ وبمجرد ما كانت تقع أعينهم على الإمام أو على تلك الحسينية ـ حسينية جمران ـ أو تقع أعينهم علينا أو على المسؤولين في البلاد أو على مراسم صلاة الجمعة كانوا

يشرعون بالبكاء، وكانوا يقولون ماذا فعلتم بالعالم الإسلامي. فكانوا يشعرون بالعزة من إنتصار الثورة، ونفس هذا الشعور بالعزة والكرامة هو الذي أدى فيما بعد إلى أحداث تبعث على الحماس في آسيا وافريقيا، تلك الأحاديث التي أصبحت الشغل الشاغل للأمريكيين والمستكبرين في العالم في الوقت الحاضر.

وهم حينما يقولون إنّ الجمهورية الإسلامية تهدد مصالحنا، وإنّ إيران تشكل خطراً علينا، كل ذلك بسبب القلق الذي ينتابهم من هذه الثورة.

فانظروا إلى الجزائر هناك وإلى مصر، وانظروا إلى فلسطين المحتلة حيث كانوا يتصورون أن كل شيء قد انتهى هناك، بينما تشاهدون الآن الحماس الذي عليه المسلمون هناك والكفاح العظيم الذي يخوضونه ضد العدو. وانظروا إلى قلب أوروبا وما يجري في البوسنة والهرسك وكيف أن جمعاً من المسلمين وبدوافع إسلامية ـ بالرغم من أنّهم لايعرفون الشيء الكثير عن الإسلام إلاّ أن الدوافع إسلامية والشعور إسلامي، وهو نفس الشعور الذي منحتهم ايّاه الثورة الإسلامية ـ كيف أنّهم وقفوا ضد أعدائهم. حتى إنني حينما دخلت إلى شوارع سراييفو وسمع الأهالي بمجي رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران إلى هناك ـ لأننا كنا ضيوفهم وقد قامت الإذاعة والتلفزيون والصحف في سراييفو بنشر صور وتفصيلات زيارتنا لبلغراد وبعد ذلك طلبت زيارة البوسنة والهرسك ـ فملأوا الشوارع في سراييفو، فكان الرجال والنساء يبكون ويصفقون ؛ بسبب الشوق الإسلامي والروح الإسلامية التي كانوا يمتلكونها. فهذه العزة الإسلامية والاعتزاز بالإسلام والتفاخر والمباهات بالإسلام قد أحييت لدى المسلمين من جديد وأصبح الإسلام عزيزاً، وشعر المسلم بأنّ الإسلام سبب للعزّة. وهذه كانت من بركات الثورة الإسلامية وتمثل أحد أبعاد هذه الثورة المباركة وكما يقال فإنّ هذه النقطة تمثل العمق الاستراتيجي لثورتنا والذي يريد المستكبرون ان يسلبوه منا.

فلو كانت لدى الإنسان خيمة ـ مثلاً ـ ولديها عشرات الحبال المرتبطة بأوتاد قوية وثابتة في عشرات الأماكن، فكيف تكون هذه الخيمة من القوة والاستحكام بحيث لا يستطيع أي إعصار أن يحركها. وعندما تلاحظون بأن الشعوب الإسلامية في أوروبا وآسيا وأفريقيا تتكلّم لصالح الثورة وتدعم فتوى الإمام بهذه الصورة وتستقبل آخر جمعة من شهر رمضان [يوم القدس] والأمور الأخرى بهذا الشكل الرائع وتطلق الشعارات الإسلامية، كل ذلك يُمثل عمقاً استراتيجياً للجمهورية الإسلامية، هذا العمق الذي لا يتحمّل الأعداء مشاهدته. هذه كانت نقاط ثلاث.

أمّا النقطة الرابعة وهي مترتبة على هذه النقاط الثلاث فهي: خلق الشائعات. فإحدى أهم الظواهر وأكثرها أساسيةً فيما يرتبط بالثورة الإسلامية ـ ومن المحتمل أنّها نادراً ما كانت موجودة بالنسبة لظاهرة أخرى في العالم بهذه الصورة ـ هي مسألة الحملات الإعلامية وبثّ الدعايات الكاذبة والمعادية للجمهورية الإسلامية.

أيّها الأخوة والأخوات! إنّ القوى المعادية للثورة الإسلامية وللإسلام كالحكومة الأمريكية والحكومة البريطانية والصهاينة ـ الصهانية ودولة (إسرائيل) الغاصبة هما آلة بيد أمريكا، وأساساً أنّهم اقاموا هذه الدولة في هذه البقعة لكي تنفّذ مخططاتهم ـ ووكالات الأنباء والمحطات التلفزيونية التابعة لهم قامت ومنذ اليوم الأول لإنتصار الثورة الإسلامية وإلى اليوم بتوجيه الإعلام المعادي ضد الجمهورية الإسلامية بصورة كبيرة وبنوعية عالية، وأشاعوا كلما ورد على ألسنتهم من أكاذيب، ففي مسألة حقوق الإنسان ـ مثلاً ـ حيث من الممكن أن يكون بعض الناس في العالم ممن يصدّقون بذلك، ولكن هذه المسألة هي من أكاذيب هؤلاء أيضاً. فهم يقولون بأنّ حقوق الإنسان تنتهك في إيران وحينما نسألهم أن يؤتونا بما يثبت ذلك، فإنّهم يقدّمون لنا قائمة بأسماء مجموعة من الأشخاص ويقولون إنّكم أعدمتم هؤلاء الأشخاص، فمن هم هؤلاء؟ إنّهم مهرّبوا المخدرات، مهرّبوا الهيروئين والمورفين والذين لو أمكن أن يعدموا أكثر من مرة لكانوا مستحقين لذلك. فهل هذا انتهاك لحقوق الإنسان؟

يتّهموننا بالإرهاب، فما هو دليلكم على أن إيران دولة إرهابية؟ وتقوم بتصدير الإرهاب؟ فيقولون لاحظوا ماذا يفعل الناس في لبنان وفلسطين. حسناً فما هي علاقة ذلك بإيران؟ في فلسطين هناك مجموعة عرفت مسؤولياتها. نعم لاشك في أنّها استلهمت تلك الروح من الثورة الإسلامية. وفي لبنان هناك أناس تيقظوا ويقولون لكم لماذا أتيتم بـ (إسرائيل) الغاصبة والصهاينة الذين ليس لهم وطن وسلّطتموهم على فلسطين ولبنان؟ فما علاقة هذه المسألة بإيران. هناك مجموعة تدافع عن بلادها فهل هذا إرهاب؟ وحينما يقوم هؤلاء بهذه الأعمال فهل هذا يعني بأنّ إيران قامت بتصدير الإرهاب؟ انظروا كم أنّ هذا الكلام مضحك وتافه.

وهم يبثون الشائعات في الأمم المتحدة ويطرحونها في لجنة حقوق الإنسان، وبعد ذلك تقوم الصحف بنشر ذلك ،ومن ثمّ تبادر صحف أخرى للتصدي لهذا الأمر، ثم تطرح هذه المسألة في الإذاعات ومحطات التلفزيون، وبعد فترة يصيبهم الإرهاق فيسكتوا، وبعد شهر أو شهرين يعيدون الكرّة من جديد ويقومون بتكرار نفس المسائل، وهم يعملون على هذا المنوال منذ اليوم الأول لانتصار للثورة. طبعاً هناك بعض السذج الذين يصدّقون تلك الشائعات.

ولكن ما هو الهدف من هذا الإعلام؟ ومن خلق وبثّ كل هذه الشائعات الكاذبة؟ الهدف هو القضاء على المكانة العظيمة التي

تحتلها ثورتنا في أوساط المسلمين وغير المسلمين. فكلما تسمعون من أخبار كاذبة في وكالات الأنباء ووسائل الإعلام منشؤها هؤلاء. إنّهم يحالون الانتقام منا، وأنّ النظام الأمريكي والمستكبر والنظام البريطاني اللذين كانت لهما مصالح كبيرة في إيران، وقد قامت هذه الثورة وهذا الشعب بإلغاء هذه المصالح، يعطيان لأنفسهما الحق في الانتقام من هذا الشعب، لأنّهم أعداء، ثم يأتي ممن يدعي التعقل ويطالبنا بأن نفكر تكفيراً عقلائياً.

إنّ هؤلاء موتورون من هذه الثورة، ولن يرضوا إلا بسقوط الثورة، ويقال لهم تفضّلوا ايّها السادة اللصوص وسيّطروا على إيران مرة اخرى، إنّهم لا يرضون إلا بهذا ولا يرضيهم أقل منه.

وأمّا الصهاينة فلهم الحق في معادتنا أيضاً، إنّنا نقول يجب اقتلاع جذور الصهيونية من منطقة الشرق الأوسط. الصهيونية التي قالت عنها الجمهورية الإسلامية كراراً بشكل رسمي وقاطع، وستبقى تقول بأنّها يجب أن تُمحى من الوجود. فهل تريدون منها أن لا تكنّ العداء للثورة الإسلامية. هذه هي حقيقة القضية.

فهم يختلقون الشائعات ويبتدعون الأكاذيب، طبعاً إنّ إعلامهم أقوى من إعلامنا ـ. فليس لدينا كل هذه الوسائل والأجهزة المتطورة، كما أن لديهم تواجداً إعلامياً في كل مكان وينفقون الأموال الطائلة في هذا المجال ولهم إذاعات كثيرة، وهم يهدفون من إعلامهم المكثف هذا، التسلل إلى الداخل. وفي الخارج يريدون تجهيز أعدائنا ويعزلون أصدقائنا عن الثورة.

صحيح أنّهم يقومون بكل هذه النشاطات الإعلامية الواسعة، ولكن أعلموا أيضاً أنّه يوجد بعض المسؤولين في تلك الدول ممن يمتلك ضميراً حياً ويرون الواقع ويشاهدون بأنّ هذا الواقع هو غير ما ينعكس في وسائلهم الإعلامية، إلا أنّ العداء الجنوني الموجود لدى هذه الأنظمة يبلغ حداً بحيث يمنع هؤلاء من التحدّث، وإن تحدّثوا فإنهم سيسحبون كلامهم فيما بعد. فمن بين الأمريكان والبريطانيين يوجد من يملك ضميراً حياً ويدرك الحقيقة ويعترض على هذه الأنظمة لمعاداتها للجمهورية الإسلامية بهذا الشكل السافر. ولاعتبارها الجمهورية الإسامية عدواً لها واختلافها لهذه الشائعات والأكاذيب ضد الجمهورية الإسلامية والتي لا أساس لها من الصحة، إلا أنّ الهيجان الجنوني للأعداء من الحدة والكثافة بحيث أنه يؤدّي إلى ضياع تلك الكلمات وسط الصيحات الجنونية التي تطلقها وسائل الإعلام هناك.

وأنا اريد أن اؤكد هنا شيئاً واقعياً لأبناء الشعب وهو أنّ كل هذا العداء وكل هذا الإعلام المعادي وكل هذا الحقد هو أصغر بكثير من قوة واقتدار والحقيقة المتأصّلة لثورتنا وأدنى منها بكثير.

إنّ الثورة أعظم وأكبر بكثير من كل هذه الأمور. فلاحظوا أنّهم عملوا خلال الـ (15 أو 16) عام بكل ما استطاعوا وكل ما بلغه جهدهم. بينما نحن اليوم أقوى ـ بفضل الله ـ مما كنا عليه قبل خمسة اعوام، وقبل خمسة أعوام كنا أقوى من قبل عشرة أعوام، وقبل عشرة أعوام كنا أقوى من قبل خمسة عشر عام وأوائل الثورة. فيوماً بعد يوم يزداد ـ بفضل الله ـ هذا النظام وهذا الشعب قوة ولا يوجد شك في أنّ العدو عاجز أمام هذه الثورة. وهذا نفسه يعدّ شاهداً على أنّهم بذلوا كل جهودهم وإمكانياتهم من أجل توجيه ضربة لهذه الثورة وفيما بعد سيكون الأمر كذلك أيضاً.

خطبة الجمعة لسماحته في طهران، 3/9/1415

القيم التي حققت الثورة لأجلها

اقتدينا في الثورة بالإسلام
إن الثورة تعدّ بمثابة تحول أساسي قائم على سلسلة من القيم فضلاً عن كونها حركة تقدّمية ؛ فالذي حدث في بلدنا هو ثورة إسلامية، وتحوّل عظيم في الأركان السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع، وحركة للأمام، وخطوة نحو تقدّم البلاد والجماهير. إننا لم نحذُ حذو الشرق أو الغرب في هذا النظام المنبثق عن الثورة، وهذه ملاحظة بالغة الأهمية ؛ فلم يكن لنا أن نتأسى بهؤلاء وما لديهم من أنظمة نعدّها خاطئة ومخالفة لمصالح البشرية، ولم يكن الأمر متعلقًا بتعصّب مذهبي أو ديني أو جغرافي، بل كان منطلقاً من أن الأسس التي تقوم عليها الأنظمة الشرقية الشيوعية ـ والتي لم يعد لها وجود اليوم ـ وكذلك الأنظمة الغربية، هي أسس خاطئة، ولهذا فلم نستطع ولم نقبل بمحاكاتها، حيث إن لدينا قيماً أخرى أشرت إلى بعضها.
وأمّا السبب في عدم اقتدائنا بهذين النظامين العالميين ـ الشرقي الشيوعي، والغربي الرأسمالي ـ فهو أنهما نظامان باطلان ؛ لقد كانت الأنظمة الشيوعية أنظمة مستبدة ترفع شعار الحكومات الشعبية بينما هي ملكية في الواقع! ومع أنها كانت تدّعي معارضة الملكية، فإنها لم تكن سوى ملكية من الناحية العملية، فلقد كانت في غاية الاستبداد، وكانت الحكومة تسيطر تماماً على الاقتصاد والثقافة والسياسة والنشاطات الاجتماعية المختلفة وسوى ذلك ممّا يبدو للعيان. وكانت الشعوب لا تملك من أمر نفسها شيئاً في ظل الأنظمة الشرقية. وإنني شاهدت ذلك عن قرب لدى زيارتي لتلك البلدان وهي في طريقها للاضمحلال. ومع أنه كانت توجد بعض الحكومات التي تُسمّى بالعمّالية في بعض البلدان المختلفة والفقيرة، إلاّ أنها كانت حكومات ملكية في حقيقة الأمر تكرر نفس ما كانت تقوم به البلاطات الملكية البائدة من أخطاء! فلم تكن ثمّة انتخابات في تلك البلدان، ولم يكن هناك صوت للشعب والجماهير، ولكنهم كانوا يسمّون أنفسهم بالديمقراطيين ويدّعون الشعبيّة! إن الشعوب كانت غائبة تماماً ؛ حيث كانت تابعة للحكومات بصفة مطلقة من الناحية الاقتصادية وكذلك من الناحية الثقافية! وقد كان واضحاً أن مثل تلك الأنظمة محكومة بالزوال. ومع أنها استطاعت أن تجذب إليها بعض جموع الشباب في العالم وأن تقيم بعض الحكومات بسبب ما كانت ترفعه من شعارات برّاقة وجذابة، إلاّ أنها لم يُقدّر لها الدوام والاستمرار، حيث شاهدنا ما آلت إليه من مصير وحُكم عليها بالزوال بعد عدة عقود من الزمن. وكان من الطبيعي بالنسبة لنا ألاّ نقتدي بتلك الأنظمة ؛ فعندما انتصرت ثورتنا ـ قبل واحد وعشرين عاماً ـ لم تكن هناك ثورة في العالم إلاّ وقد وضعت تلك الحكومات الشرقية نُصب أعينها، سواء كانت تلك الحكومات تسمّى بالماركسية أو بالاشتراكية في أحسن أحوالها ؛ لكن الإسلام والشعب الإيراني وقائده قد رفضوا تلك الأنظمة ووضعوها جانباً. والأمر كذلك بالنسبة للغرب، حيث لم نرغب ولا يمكن أن نرى فيه أسوة لنا ؛ فقد كانت لدى الغرب أشياء، ولكنها كانت على حساب أشياء أخرى تفوقها أهمية. إن الغرب كان لديه العلم، ولم تكن لديه الأخلاق، وكانت لديه الثروة دون العدالة، وكانت لديه التكنولوجيا الصناعية، ولكنها كانت تسير بموازاة تخريب الطبيعة وأسر وعبودية الإنسان، وكان يتشدّق بالديمقراطية والشعبية، ولكنه كان رأسماليّاً في الواقع ولا يمتّ للشعبية بشيء، ومازال الأمر كذلك. وإنني لا أزعم ذلك ولا أدّعيه، ولا أقوله نقلاً عن كاتب مسلم متعصّب، بل أقوله نقلاً عن الغربيين أنفسهم، فما يحدث الآن في الغرب، وفي أمريكا نفسها، مما يسمّى بالديمقراطية والانتخابات في الظاهر ليس سوى حكم الرأسمالية في الباطن. وإنني لا أرغب في التصريح بأسماء كتّابهم أو كتبهم، ولكنّ الكتّاب الأمريكيين ومَن هناك من المحللين السياسيين يقولون بأن انتخابات البلديات ومجلس النواب ورئاسة الجمهورية ليست سوى مظاهر مصطنعة.
إن الذي يلقي نظرة على ذلك الواقع سيجد أن صوت الشعب ليس له أدنى دور تقريباً، وأن الذي يقول الكلمة الأخيرة هو المال ورؤوس الاموال ووسائل الدعاية الحديثة جنباً إلى جنب الخداع واستلاب مشاعر البسطاء من جماهير الشعب! فلا يوجد من الديمقراطية سوى اسمها دون رسمها. لقد كان الغرب يتمتع بالتقدم التقني والعلمي، ولكنه لم يعد سوى وسيلة لاستثمار الشعوب الأخرى. فبمجرد تحقيق الغربيين لأيّ تقدم علمي فإنهم لا يلبثون إلاّ ويحولونه إلى سيطرة سياسية واقتصادية فينتشرون شرقاً وغرباً بحثاً عن السيطرة على ما يمكنهم من البلدان واستثمارها. لقد فعلوا ذلك بلا هوادة، باستثناء ما عجزوا عن إخضاعه لسيطرتهم! كما أنه كانت ثمّة حرية في الغرب، لكنها كانت مصحوبة بالظلم والتسيّب والانحلال. إن الصحف هناك تتحدث بحرية عن كل شيء، لكن إلى من تنتمي؟ هل تنتمي إلى الشعب؟! طبعاً لا.. فليذهب كل من يريد ليشاهد الحقيقة.. واذكروا لي اسم صحيفة واحدة في كل أوربا وأمريكا لا تتعلق بالرأسماليين! إن حرية الصحافة عندهم تعني حرية أصحاب رؤوس الأموال لقول ما يريدون وتخريب ما يرغبون وفرض أنفسهم كما يطمحون وتوجيه الرأي العام حسب ما يرسمون! وهذه ليست حرية ؛ فلو برز من يتحدث ضد الصهيونية ـ كالكاتب الفرنسي الذي ألفّ عدة كتب ضد الصهيونية وفنّد مزاعمهم حول أفران الغاز وحرق اليهود

فيها ـ فإنهم يعاملونه بأسلوب آخر! ولو كان ثمّة من لا يرتبط بأصحاب رؤوس الأموال ولا ينتمي لمراكز السلطة الرأسمالية، فإنه لن يجد مجالاً للكلام، ولن يصل ما يقوله إلى الأسماع، ولن تتوفّر له حرية الرأس والتعبير! نعم، فالرأسماليون لديهم الحرية في قول ما يريدون عن طريق ما يمتلكونه من صحف وإذاعات وتلفزة! وهذه حرية لا قيمة لها، لأنها ضد القيم ؛ فالحرية لديهم تعني جرّ الجماهير نحو الانحلال وعدم الإيمان، وتعني إشعال فتيل الحروب حيثما يشاؤون، وفرض السلام أينما يرغبون، وتسويق الأسلحة كما يتطلعون، وهذه هي الحرية!

لقد كان من الطبيعي لشعب ضحّى بدمه من أجل الثورة التي قام بها بقيادة عالم رباني ينوب عن الأنبياء أن يتحاشى الاقتداء بالأنظمة الغربية. إذاً فنحن لم ننهج نهج الأنظمة الشرقية ولا الغربية، بل اقتدينا بالإسلام واختار شعبنا النظام الإسلامي طبقاً لما يعرفه عن الإسلام. إن شعبنا كان على دراية بالكتب والروايات الإسلامية وعلى علم بالقرآن ووعي بما يُقال من على المنابر. وإن المثقفين المتدينين أنجزوا الكثير خلال العقود الأخيرة، سواء كانوا من علماء الدين أو من خريجي الجامعات، وكان الشعب قد اعتاد على سلسلة من القيم التي واصل الالتزام بها، وهي قيم لم يكن لها أثر خلال عهد النظام البائد، وكانت الثورة أداة لتحقيق هذه القيم. فما هي هذه القيم؟

القيم التي حققتها الثورة

سأذكر الآن عدداً منها ؛ فلو أردتم جمعها في كلمة واحدة فإنني سأقول: «الإسلام» ولكنه لفظ مجمل ومن الممكن تفصيله على وجوه شتى. فشعبنا كان يتطلع إلى قيم جمعتها كلمة الإسلام، ولسوف أشير إلى بعض منها:

الأولى: الإيمان ؛ فلقد كان الاستياء يعمّ الناس جرّاء الانحطاط الأخلاقي والتسيّب وضعف الإيمان، فكانت قلوبهم توّاقة إلى الإيمان.

والقيمة التالية هي العدالة ؛ حيث إن الناس كانوا يعانون من الظلم المخيّم على المجتمع، فكانوا غارقين في الظلم من الرأس إلى أخمص القدمين، حتى إن بعضهم كان يظلم البعض الآخر. وكذلك داخل النظام الطاغوتي نفسه، حيث كان الظلم سائداً بين عناصره إضافة إلى ممارسة الظلم والجور على الجماهير الشعبية. كما أن الظلم كان ملموساً في القضاء، وفي تقسيم الثروات وتوزيعها، وفي محيط العمل، وكانوا يمارسون الظلم على المدن النائية، وعلى الضعفاء، فكان الظلم شائعاً في كل مكان ولصيقاً بأفراد الشعب، يشعرون به حيثما حلّوا. ولهذا كان الشعب يبحث عن العدالة ورفع الفوارق بين الطبقات والتغلّب على الفقر، وهذه قيمة أخرى غير العدل كانت الجماهير تتطلّع إليها.

لقد كان بعض الأفراد أو الطبقات في قمة الثراء والغنى، بينما كان البعض الآخر محروماً حتى من ضروريات الحياة، وهذا ما كان يشمئزّ منه الجميع ويرفضونه. إن الجماهير كانت تحلم بإزالة الفوارق بين الطبقات أو تضييق فواصلها وإننا لم نكن مثل الشيوعيين في ادّعائهم بأن على الحكومة أن تمنح لقمة العيش ورغيف الخبز للشعب، أو أن يكون الناس متساويين في رواتبهم الشهرية. كلا، لكن الفوارق بين الطبقات كانت بصورة مذهلة بحيث لا يرضى بها الشعب والثوار المسلمون وقائد الثورة.

إن النظام الطاغوتي والأنظمة التي سادت قبله في إيران لم تكن أنظمة شعبية، ولم يكن للشعب أدنى دور في الحياة السياسية ؛ فذات يوم جاء البريطانيون بأحد الأشخاص على رأس انقلاب دبّروه في طهران، ثم توّج نفسه ملكاً. وعندما أراد مغادرة إيران ـ أي عندما أرادوا منه مغادرة إيران بسبب كبر سنه وعدم جدواه لهم ـ فإنه نصّب ابنه ملكاً من بعده! فمن كان هذا الابن وما شأنه؟! وما موقف الشعب ودوره؟! هذا ما لم تكن له أهمية! وكان القاجاريون قبل هؤلاء ؛ فكان يموت حاكم فاسد ليحلّ محلّه فاسد آخر، ولم يكن للشعب دور في انتخاب حكومته! وكان الشعب يرفض كل ذلك ويتطلع لأن تكون الحكومة جزءاً منه ومنبثقة عنه وأن يكون للجماهير تأثير في انتخاب الحكومات.

وأما القيمة الأخرى فهي التديّن ؛ فكان الناس يحبون أن يصبحوا متدينين.

ولكن النظام البائد كان يسعى في كل مكان ـ في الحياة الاجتماعية وفي الجيش والجامعة والمدرسة ـ إلى جرّ الناس نحو اللادينية. وكان الناس يستنكرون ذلك لأنهم كانوا متدينين وكشفوا عن أن الإيمان بالدين والإسلام متغلغل في أعماق حياتهم.

ومن تلك القيم أيضاً الابتعاد عن الإسراف والكماليات في أوساط الطبقة الحاكمة. إن الإسراف والكماليات أمر مرفوض في كل مجال، ولكن الذي كان يجعل الناس يشعرون بالحساسية المفرطة هو ظاهرة الاسراف والتبذير والحصول على كافة الكماليات من أموال الشعب في أوساط الطبقة الحاكمة، وهو ما كان يرفضه الناس. ولهذا جاء النظام الإسلامي ليقضي على تلك الظاهرة تأسيساً على هذه القيمة.

كما أن من تلك القيم أن يتصف الحكام بسلامة الدين والأخلاق ؛ فلم يكن الشعب يرضى بأن يكون حكامه فاسدين أو غير متدينين أو تعوزهم الأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة هم ومن حولهم من عناصر البلاط، كما كان سائداً في ذلك الزمان!

ومن ذلك أيضاً انتشار الأخلاق الفاضلة ؛ فكان الناس يرغبون في أن تسود المجتمع الأخلاق الطيبة والإسلامية وروح الأخوّة

والمحبة والتعاون والصبر والتسامح والغفران ومدّ يد العون للضعفاء ومؤازرتهم، وأن ينتشر قول الحق بين الناس.
وحرية الفكر والتعبير واحدة من تلك القيم أيضاً، وهي من القيم الثورية ؛ حيث كان الناس يرغبون في أن يفكروا بحرية بعد أن حُرموا حرية الفكر وحرية التعبير وحرية اتخاذ القرار في تلك الأيام، وهو ما كان يقلقهم، فكانوا يسعون لاسترجاع هذه الحريات.
ومن تلك القيم أيضاً الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي ؛ فكان الناس مستائين من أن تكون بلادهم واقعة تحت السيطرة السياسية للأنظمة الأوربية أو الأمريكية، أو خاضعة للسيطرة الاقتصادية للشركات العالمية التي تتلاعب بمصير البلاد كما تشاء.. ومن حيث الثقافة، فإن الثقافة الإيرانية ثقافة عميقة وغنية، فينبغي أن لا تكون تابعة للثقافات الأجنبية وتمشي على خطاها معصوبة العينين.
فالقيم التي ننادي بها هي: الدين والإيمان والاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي والاستقلال الثقافي وحرية الفكر وإشاعة الأخلاق الفاضلة وأن تكون الحكومة شعبية وصالحة وأن يتمتع الحكام بالدين والتقوى.. فماذا كانت الوسيلة لتحقيق هذه القيم؟ إنّها روح الإيمان والجهاد والتضحية والإيثار التي ترفرف بين جنبي هذا الشعب المؤمن. وما الذي استطاع رفع عماد هذا الصرح العظيم والبناء الإسلامي الشامخ بعد قرون في هذا البلد؟ إنها تلك القيم التي أسلفنا الحديث عنها، والتي تقرر أن تكون أساساً للنظام الجديد والحياة لجديدة في هذه المنطقة من العالم.
ولهذا فقد ضحى الناس بأنفسهم وأبنائهم واستشهد الكثيرون منهم في سبيل الله عملاً على تحقيق هذه القيم.
إن الشعب كان يعرف ماذا يريد وكان يسعى لتحقيقه ؛ ولسوف أبيّن فيما بعد أن كل تلك القيم يمكن توفيرها جميعاً في المجتمع، وأن ما حققه النظام الإسلامي منها حتى الآن هو ما لم يكن يحلم به ولا يتصوره أحد.
إننا نبدو متخلفين اليوم لأننا نقارن بين وضعنا الحالي والوضع النموذجي، ولكن إذا ما قارنا بينه، وبين وضعنا في الزمن الماضي وبينه وبين الأوضاع الراهنة في بلدان أخرى، لوجدنا أن هذا النظام كان ناجحاً جدّاً بما حققه من إنجازات في هذا المضمار، وأن هذه الثورة استطاعت حقيقةً أن تفعل الكثير، وهو ما كان يتطلع إليه الشعب. ومع ذلك فإن البعض يحلو لهم القول بأن الشعب لم يكن يدري ماذا يريد! كلا، لقد كان الشعب يدري جيداً ماذا يريد، وإنه كان يريد الإسلام. إن الإسلام ليس هو مجرد الصلاة والسجود ـ فهذا جزء من الإسلام ـ وإنّما يعني إقامة نظام اجتماعي وتأسيس حياة عامّة للجماهير قائمة على قواعد راسخة توفر لهم سعادة الدنيا والآخرة وتضمن لهم الاستفادة من العلم والتطور والصناعة والثروة والرفاهية والعزة الوطنية وما سواها، وهو ما كان يتطلّع إليه شعبنا.
إن الذين لم يكونوا على دراية بالإسلام، ولم يكونوا يريدونه من أعماق قلوبهم، كان يجدر بهم على الأقل ألا يتجرأوا ويتّكئوا على الأنظمة الغربية الطاغوتية أو أن يديروا ظهورهم لهذا النظام. ولكنهم يجلسون هاهنا ويبثّون الإثارات يميناً وشمالاً قائلين بأن الشعب لم يكن يدري ماذا يريد لدى استفتائه حول الجمهورية الإسلامية! كيف لم يكن الشعب يدري ماذا يريد؟! وإذا لم يكن يدري فكيف بذل كل هذه التضحيات وتحمل ثماني سنوات من الحرب المفروضة؟! لقد كان الشعب ومازال يدري جيداً ماذا يريد.

إن هذه القيم السائدة الآن في المجتمع والتي تمثل القاعدة للنظام الإسلامي ينبغي علينا أن نقبل بها جميعاً، إذ لو قبلنا ببعضها ورفضنا البعض الآخر لكان الأمر ناقصاً، ولو أعطينا لبعضها أهمية وتجاهلنا البعض الآخر لما تحقّق الهدف. هذا أولاً.
وثانياً فإن الثورة نفسها حركة وتحوّل وتقدّم نحو الأمام، فيجب علينا إصلاح الأساليب الخاطئة يوماً بعد آخر واتخاذ خطوة جديدة بغية تحقيق النتائج المتوخّاة.
القيم أساس تحرّكنا أعزائي! إن الثورة ليست أمراً دفعيّاً، بل تدريجي. ولا يوجد في الثورة سوى مرحلة واحدة دفعية وهي مرحلة تغيير النظام السياسي، وأمّا الثورة فلا تتحقق إلا بمرور الزمان. فكيف يتسنّى ذلك؟ إن هذا التحقّق يتم عن طريق التحرك نحو الأمام بالمجالات المتخلفة والبحث عن طرق جديدة وأعمال جديدة وأفكار جديدة وأساليب جديدة لتطبيقها في المجتمع يوماً بعد يوم في نطاق وعلى أساس هذه القيم، كي يستطيع هذا الشعب أن يشقّ طريقه للأمام بهمّة ونشاط نحو أهدافه المرسومة. إن التراجع خطأ، والتخلف خسارة، وحتى التوقف فهو خطأ أيضاً، فلابد من التحرك والانطلاق نحو الأمام.
فأين يكون هذا التقدم الآن؟ وأين ينبغي أن يكون هذا التحول الذي نتحدث عنه، وأين يجب أن تكون هذه الحركة إلى الأمام؟ إنها في كافة مجالات الحياة الاجتماعية ؛ فلابد من تطوير القوانين وتوجيهها نحو الأفضل والأكمل يوماً بعد يوم. وكذلك في المجالات الثقافية وعلى نطاق الأخلاق العامة للجماهير، فيجب العمل على تطويرها يوماً فيوماً وتحقيق التقدم. والأمر كذلك أيضاً على النطاق العملي والتربوي وفي مجال التعليم والنشاطات الاقتصادية والفنون وشؤون الحكومة وإدارة البلاد وحتى في الحوزات العلمية، حيث ينبغي على الطاقات الفكرية والشجاعة والمتنوّرة أن تبتدع كل يوم أساليب جديدة وأعمالاً جديدة وأفكاراً جديدة وآمالاً جديدة والانطلاق بها نحو الأمام. وأساس كل هذا ليس سوى هذه القيم.

فيجب التحرك في نطاقها والسير على أساسها، وحينئذٍ تتكامل الثورة وتتجسد ملامحها بالتدريج وهو أمر لا نهاية له. كما أن التكامل أيضاً لا حدود له، ولكن إذا ألقى الإنسان نظرة على البلاد كل عشر سنوات أو عشرين سنة فسيجد ثمّة تقدماً ورقيّاً في المجالات المختلفة.

إذاً.. فلابدّ هنا من توفر عناصر ثلاثة. وبودّي أن يهتم الشباب بذلك في الدرجة الأولى ولاسيّما تلك العناصر المؤثرة في مجال النشاطات السياسية ؛ فعليهم بالانصات لما أقول. هناك عناصر ثلاثة أساسية: أولها الاهتمام بالقيم التي قامت الثورة على أساسها والحفاظ عليها. وثانيها أن ننظر إلى هذه القيم التي قامت ككل لا يتجزأ، فلا يهتم أحدنا بالاستقلال السياسي والثقافي والاقتصادي دون التدين، أو يهتم بالتدين دون الاهتمام بالحرية الفكرية، أو يهتم بحرية الفكر والتعبير دون الاهتمام بالحفاظ على الدين والإيمان لدى الجماهير، إذ لو كان الأمر كذلك لكان ناقصاً. فلابد من الاهتمام بالقيم جميعاً كوحدة كلّية.. وإن الأجهزة الحكومية هي التي يجب عليها أن ترعى هذه القيم وتقوم بالحفاظ عليها وحراستها. وأمّا العنصر الثالث فهو الحركة إلى الأمام ؛ فالركود والسكون والصمت يبعث على الجمود والتحجّر والركون إلى القديم، فتف قد القيم فعاليتها وروحها.

وإن الإبقاء على كل ما هو قديم يؤدي إلى الدمار، ولا من سبيل للتغلّب على ذلك سوى التقدم والانطلاق للأمام، وهذه الحركة والانطلاق إلى الأمام هو ما عبّرت عنه يوم تاسوعاء «بالاصلاحات الثورية» ؛ فلو لم تقم الاصلاحات والتقدم والتجديد على أساس القيم الثورية لأصيب المجتمع بالفشل. فهذه هي الأصول الأساسية، أي الاهتمام بالقيم، وألا نفرق بينها،

وأن نواصل التحول والحركة نحو الأمام بجدّية في إطار القيم. وفي الحقيقة فإن بيننا في المجتمع من يهتم ببعض هذه الأركان دون بعضها الآخر ؛ فثمّة من يهتم بالقيم دون التطور والتحول، وبالعكس فثمة من يهتم بالتحول والتطور، ويتحدث عن التغيير والتجديد، دون أن يعير الأهمية اللازمة للقيم. ولا يعني هذا أنه لا يقبل بها، كلا، بل إنه يقبل بها، إلاّ أن همّه الأول هو التقدم والتغيير والتحول وليس القيم. وثمّة أيضاً من هم على العكس من ذلك، أي أنهم يؤمنون بالتطور ولكن قضيتهم الأولى هي الحفاظ على القيم. وأما بالنسبة للقيم، فهناك من يهتم أكثر بتدين وإيمان الجماهير، وهناك من يهتم بأمر استقلال البلاد من نير تسلّط القوى الكبرى، وهناك من يهتم بموضوع الحرية، ومن يهتم بقضية الأخلاق أكثر من غيرها من الأمور والقضايا الأخرى.

وهذا في الحقيقة شيء طبيعي، ولا غبار عليه، ولكن من الأفضل أن يهتم الكل بكل هذه العناصر، وإذا اهتم البعض بعدد من القضايا واهتم البعض الآخر بعدد آخر، فهذا أمر حسن جيد حيث بوسع أحدهما أن يكمل الآخر ؛ فالذين يهتمون بالقيم يكملون سواهم من الذين يهتمون بالتحول والتطور، والذين يهتمون بالتحول والتقدم يكملون أولئك الذين يهتمون بالقيم.

وإنه من الممكن أن ينشأ خلاف. ولكن هذا الخلاف لا أهمية له ؛ فمن الممكن أن يتّهم الذين يهتمون بالقيم أكثر أولئك الذين يهتمون بالتحول بأنهم معرضون عن القيم. وبالعكس، إذ من الممكن أن يتّهم دعاة التطور سواهم من دعاة القيم بأنهم لا يؤمنون بالتقدم والرقي والحركة إلى الأمام وينادون بالجمود والتوقف. فهذه ظاهرة يمكن أن تكون موجودة أو ستوجد في المجتمع، ولكن لا إشكال في ذلك ولا أهمية له، فينبغي على كل فئة أن تتحمل الأخرى وألاّ ترفضها. وعندما يقبل الجميع بالقاعدة الأساسية ـ أي القيم والتحرك في إطار القيم ـ بشكل عام، فلا أهمية حينئذٍ أن يولي البعض أهمية لقسم منها ويولي البعض الآخر أهميتهم للقسم الآخر، ولا داعي لنشوب الصراع.

إن الحد الفاصل بين هؤلاء وهؤلاء ليس حدّاً واقعيّاً ولا مصيريّاً، وبوسع الجميع أن يحققوا وحدة عامّة فيما بينهم وأن يجسّدوا الهوية الكلّية للمجتمع الإسلامي والثوري وأن يعملوا كجناحين في الحقيقة، أي جناحين لطائر واحد ؛ فلو تحرك الجناحان جيداً لحلّق الطائر وارتفع في الفضاء. إن الذائبين في القيم ـ بشرط ألاّ يديروا ظهورهم للتطور ـ وكذلك الذائبون في التحول والتقدم والحركة للأمام والتغيير والتبديل ـ بشرط عدم التنكر للقيم ـ سيعودون جميعاً بالنفع على المجتمع كما جناحين مرفرفين، وسيكملون الثورة في الحقيقة، وسيحققون التقدم في ظل القيم، وسيكونون على ما يرام.

الفقيه العادل هو الذي يحقق التطور الشامل

وإن الذي يأخذ بالاعتبار كل هذه القيم ويحقق التطور الشامل على شتى الأصعدة هو ذلك الشيء المقترح في دستورنا وفقهنا، وهو وجود الفقيه العادل والعارف بأمور زمانه في المجتمع حتى يكون منارا وعنصر هداية يأخذ بزمام الأمور إلى الأمام.

فلماذا يجب أن يكون فقيهاً؟ حتى يكون عالماً بالقيم الدينية والمُثل الإسلامية ؛ فمن الممكن أن يكون البعض جيدين ولكنهم يجهلون أمور الدين ولا يدركون جيداً مضامين القرآن والسنة والحديث والمفاهيم الدينية، وحينئذ من الممكن أن يخطئوا غير عامدين ولا مغرضين. إذاً.. فلابدّ أن يكون فقيهاً.

ولماذا يجب أن يكون عادلاً؟ لأنه لو تخلّف عن واجبه فلن يكون هناك ضمان للتنفيذ. ولو كان لا يفكر إلاّ في نفسه ودنياه وسعادته والحفاظ على منصبه فلن يبقى الضمان الضروري لسلامة هذا النظام. إذاً، لو كان عارياً عن العدالة لكان معزولاً بذاته دون أن يعزله أحد آخر.

ولماذا يجب أن يكون عارفاً بأمور زمانه؟ لأنه لو لم يكن كذلك لوقع فريسة للخداع ؛ فلابد أن يكون عارفاً بأمور زمانه حتى يعرف الأعداء ويكتشف الحيل والمؤامرات ويتّخذ بشأنها الإجراءات اللازمة حسبما يقتضيه واجبه. وقد راعى الدستور كل ذلك، وهو المطلوب.

الأخطار التي تهدّد الجناحين

وهاهنا تكمن المخاطر، والمهم هو أن نحذر الأخطار. إن الخطر يهدد كلا الطرفين، فخطر التحجّر يهدد من يهتمون بالقيم دون الاهتمام بالتطور والتغيير والتقدم، فليكونوا على حذر. كما أن خطر الانحراف يهدد أولئك الذين يهتمون بالتطور والتغيير أكثر من اهتمامهم بالقيم، فليكونوا هم أيضاً على حذر. فليأخذ كل واحد منهما حذره، كي لا يصاب الجناح الأول بالجمود والتحجر، ولا يصاب الجناح الثاني بالانحراف والتمهيد للأعداء والمعارضين لمبدأ القيم. وإن هذين الجناحين لو أخذ كل منهما حذره لاستطاع المجتمع أن يشقّ سبيله نحو التكامل والرفعة التي أرادها الإسلام له في ظل الوحدة المطلوبة.

فأحد الأخطار ـ إذاً ـ هو الذي يهدد هذين الجناحين جرّاء الغفلة، ولكن هناك خطراً أعظم من ذلك، فما هو؟ إنه خطر النفوذ، فمن الممكن أن يكون الجناحان وسيلة للنفوذ والتغلغل! وأحياناً يكون بوسع الأعداء أن يتغلغلوا من خلال كلا الطرفين ؛ فمن الطرف الأول بذريعة كونه أصوليّاً ولا يرضى بالتطور، ويرفض سبل التقدم ويريد أن يعود بالثورة القهقرى.

والأخطر من ذلك هو الطرف الثاني، أي معارضة مبدأ القيم وأصل الإسلام وأساس التدين وقاعدة العدالة الاجتماعية بذريعة التغيير والتقدم والتطور، فيقع نهباً للرأسمالية الغربية، ولا يكون همّه سوى الكسب المادي، ويصبح معارضاً لإزالة الفوارق بين الطبقات، ومخالفاً لاسم الدين، حتى لو لم يصرح بذلك!

إنه من الممكن أن يصل هؤلاء إلى الحكم ويدخلوا الساحة باسم التطور والتغيير والتقدم والإصلاح، ومن الممكن أن يتغلغلوا في الهيكل الاقتصادي للمجتمع.. ولو نفذ أمثال هؤلاء الأجانب والغرباء إلى الهيكل الاقتصادي للمجتمع لشكلوا خطراً عظيماً، لأنه من الضروري أن تتحكم يد أمينة في اقتصاد وأموال وثروات المجتمع. ولكنّ الأخطر من ذلك هو أن يتغلغل هؤلاء في المراكز الثقافية وينفذوا إلى عقول الجماهير وإيمانهم ومعتقداتهم وخط سيرهم الصحيح، فيقبضوا على زمامها ويتحكموا فيها ويحدث ما هو واقع الآن في مجالات الصحافة والإذاعة والتلفزيون في عالم الغرب، أي تتحقق الرأسمالية.

وكما أن الإذاعات والتلفزة الدولية والامبراطورية الخبرية العالمية يتحكم فيها الرأسماليون، فإن هؤلاء يدخلون إلى بلادنا ويسيطرون على مؤسساتنا الثقافية ويطمحون إلى طبع بصماتهم في حياتنا عن طريق الثقافة، وهو ما شاهدتُ دلائله قبل عدة سنوات هنا وهناك وأطلقتُ عليه اسم «الغزو الثقافي»، فقبل بذلك البعض ورفضه آخرون من الأساس قائلين إنه لا وجود البتة لهذا الغزو الثقافي! فلو جاء البعض ونادوا بالتطور دون الإيمان بأصل القيم، فواضح أي تطور هذا الذي يريدونه!.. إنه تحويل النظام الإسلامي إلى نظام غير إسلامي. وإن التطور في نظرهم يعني إزالة اسم الإسلام وحذف حقيقة الإسلام والتخلي عن الفقه الإسلامي! وبالطبع فإننا نعرف بعض هؤلاء ؛ فبعضهم من مخلّفات النظام البائد الذين أكلوا واتخموا على حساب ذلك النظام ثم لم يستطيعوا أن يجدوا لهم مكاناً بين الجماهير، فجاؤوا اليوم ليجرّوا أنفاسهم ويشمخوا برؤوسهم ويدّعوا الحرية وحبّ الجماهير ويتشدّقوا بالديمقراطية، وهم الذين كانوا عملاء ظلم وجور للبلاط الذي كان يتحكم في رقاب هذا الشعب منذ خمسين عاماً مضت، دون إعادة أدنى اهتمام للشعب طوال تلك المدة! ثم برزوا اليوم ليرفعوا شعار الاصلاحات، وهم الذين عملوا بكل كيانهم في خدمة ذلك النظام! فما معنى هذه الاصلاحات؟! إن هذه الاصلاحات هي الاصلاحات الأمريكية! أي أنكم يا أبناء الشعب الإيراني الذين قطعتم يد أمريكا تعودون لإصلاح أسلوبكم هذا وتأذنون للسادة الأمريكيين بالتفضل لدخول بلادكم ليأخذوا من جديد بزمام الاقتصاد والثقافة وإدارة شؤون هذه البلاد! وأمّا البعض الآخر فلا ينتمون للنظام الغابر، ولكنهم منذ بداية الثورة، وحتى قبل الثورة، أظهروا أنهم لا يرغبون تماماً في إدارة البلاد طبقاً للشريعة الإسلامية! إنهم يريدون اسم الإسلام ويحبون اسم الإسلام، وليسوا أعداءً للإسلام بهذا المعنى، ولكنهم لا يؤمنون أبداً بالفقه الإسلامي والأحكام الإسلامية وحاكمية الإسلام، بل يؤمنون بالأساليب الفردية ؛ وقد استطاع بعضهم السيطرة على الأمور والأخذ بزمامها في بداية الثورة.. ولو لم يكن الإمام قد وضع الثورة نصب عينيه لأعادوا الثورة برمّتها وهذا البلد للهيمنة الأمريكية من جديد! إن هؤلاء ينادون أيضاً بالإصلاح، وينادون أحياناً بالإسلام أيضاً، ولكنهم ينضمون لمن يرفعون الشعار صراحة ضد الإسلام ويعربون عن تضامنهم معهم! إنهم ينادون بالإسلام أحياناً ولكنهم يعملون مع أولئك الذين يرفعون شعار معارضة الحكومة الإسلامية وشعار العلمانية وشعار الفصل بين الدين والحكومة وشعار الحكومة اللادينية والحكومة المضادّة للدين وشعار المادية! ومن الواضح أن هؤلاء وصوليون ونفوذيون، وليسوا ممّن يقبلون بالقيم ولا ممّن يؤمنون بالتطور ؛ كلا، إنهم فقط وصوليون وأجانب وغرباء.. لقد تحدثتُ قبل عدة شهور من هنا ولكن البعض رفع عقيرته بالاستنكار لهذا المصطلح! نعم، إنهم ليسوا مثا، وإنهم يرفضون الثورة والإسلام والقيم، فلتكن الأجنحة التي هي مثا على حذر من هؤلاء.

خطبة الجمعة لسماحته في طهران، 7/2/1421

الإمام الخميني (قدّس سرّه) والثورة الإسلامية

الإمام والثورة

في هذه المناسبة سأتحدث عن الإمام والثورة العملاقة والفريدة التي أرساها كالطود في هذا العالم وهذا التاريخ المعاصر. وفي الحقيقة ليس ثمة فارق فيما بين الحديث عن الإمام والحديث عن الثورة ؛ فرغم أن إمامنا العظيم كان شخصية بارزة ومرموقة في جوانب متعددة ؛ فلقد كان عالماً فذاً، فقيهاً له مدرسته، فيلسوفاً مرموقاً، سياسياً ومصلحاً اجتماعياً عملاقاً، وقد كان من الناحية الروحية ذا مناقب ومزايا راقية قلَّ نظيرها، وهذه بأجمعها هي التي ترفع من شخصية الإمام في أنظار أهل زمانه والأزمنة اللاحقة، بيد أن شخصية إمامنا العظيم لا تنحصر في هذه الخصوصيات المرموقة ولا تقتصر على هذه الخصال، فثمة بعدٌ آخر في شخصيته عبارة عن المبادئ والخطوط الواضحة التي أرساها في هذا البلد وفي هذه المنطقة على مرأىً من شعوب العالم، وعلى أساسها أقام نظاماً سياسياً واجتماعياً وأحيا بها آمالاً كبيرة في قلوب مستضعفي العالم والأمة الإسلامية ؛ فشخصية الإمام ليست بمعزلٍ عن مبادئه الأساسية، وفي الحقيقة فإن هوية ثورتنا وأصولها تشكل الخطوط البارزة لشخصية الإمام أيضاً، وكلّما تحدثنا عن الثورة فإنما نتحدث عن الإمام في واقع الأمر.

ميزة الثورة الإسلامية

إن ميزة الثورة الإسلامية العملاقة، التي جعلت منها ظاهرة فريدة على مرّ القرون الأخيرة في أنظار المراقبين والخبراء، لم تكن قد شوهدت من قبلُ في أيٍّ من الثورات الكبرى في العالم، لا في الثورة الفرنسية، ولا في الثورة الشيوعية السوفيتية، ولا في الثورات الصغرى التي كانت تتحرك تبعاً لهاتين الثورتين وعلى خطاهما. فعليكم أن تعرفوا أنّ دأب سياسات الهيمنة قد تركز ومازال على تمييع الحركات الشعبية الناشدة للعدالة في شتى بقاع العالم في بوتقتها السياسية والثقافية، وهي في الواقع إنما تقضي على هوية هذه الحركات ؛ وهذا ما حصل في إيران أيضاً ؛ فالحركة الناشدة للعدالة التي انطلقت في إطار الحركة الدستورية بإيران قبل مئة عامٍ كانت حركة شعبية ودينية، فقام الخط السياسي المهيمن على العالم يومذاك ـ أي الانجليز ـ بتذويب هذه الحركة القائمة على المبادئ الإسلامية في بوتقته السياسية والثقافية ومسخها وتحويلها إلى حركة دستورية على الطراز الانجليزي، فكانت عاقبة ذلك أنْ آلت الحركة الدستورية ـ وهي حركة مناهضة للاستبداد ـ إلى قيام دكتاتورية رضا خان التي فاقت دكتاتورية القاجاريين سوءاً وشقاءً وقساوةً.

وهكذا شأن حركة تأميم النفط التي التحقت على أيدي القائمين عليها بليبرالية أمريكا، فأضحت النتيجة أنْ غدر الأمريكيون أنفسهم بنهضة التأميم وتواطأوا مع الإنجليز الذين كانوا يمثلون الجهة التي تقف بوجه النهضة الناشدة للعدالة في إيران، وقضوا على حركة التأميم.. وعلى أثرها ألقت دكتاتورية محمد رضا القاسية والسوداء بظلالها الثقيلة على هذا البلد وهذا الشعب معرّضةً إيّاه للضغوط على مدى بضعٍ وثلاثين سنة. فيما صودرت الثورات الناشدة للعدالة لشعوب آسيا وأفريقيا التي دامت عشرات السنين من قبل الشيوعيين وسياسة الهيمنة للاتحاد السوفيتي السابق، وانتهت إلى الدكتاتوريات التي كانت تعمل لصالح الاتحاد السوفيتي. هذا هو المنهج المتبع عالمياً مع الحركات الشعبية التي تنشد العدالة.

كانت براعة إمامنا العظيم في أنه وضع إطاراً متماسكاً لهذه الثورة ولم يسمح بذوبانها في بوتقة القوى والخطوط السياسية السلطوية، فكان مغزى شعار "لا شرقية لا غربية جمهورية إسلامية" أو شعار "استقلال حرّية جمهورية إسلامية" ـ اللذين رسمتهما تعاليم الإمام وإرشاداته على شفاه الجماهير ـ أنّ هذه الثورة ترتكز إلى أصول ثابتة وصلبة لا صلة لها بالمبادئ الاشتراكية في المعسكر الشرقي يومذاك ولا بأصول الرأسمالية الليبرالية للمعسكر الغربي. وهذا هو السبب في ما أبداه الشرق والغرب من عداء وتزمّت إزاء هذه الثورة.

لقد أقيمت هذه الثورة على قواعد صلبة، فجعلت من تطبيق العدالة والحرّية والاستقلال ـ وهي من أهم القيم بالنسبة للشعوب ـ ومن المعنويات والأخلاق غايتها. هذه الثورة مزيج من الدعوة للعدالة والتحرر وحاكمية الشعب والمعنويات والأخلاق، ولكن ينبغي عدم الخلط بين هذه العدالة وبين العدالة المزعومة الوهمية التي كان شيوعيو الاتحاد السوفيتي السابق أو الدول التي كانت تدور في فلكه يرفعون شعارها ؛ فهذه عدالة إسلامية لها تعريفها الخاص بها، وكذا ينبغي عدم التشبيه بين الحرّية في نظام الجمهورية الإسلامية وحرّية الغرب بما تعنيه من إطلاق عنان السلطويين والأثرياء ومن تحلل في سلوكيات البشر وأفعالهم ؛ فهذه حرّية إسلامية تنطوي على حرّية اجتماعية ومعنوية وفردية لها قيودها وإدراكها وهديها ومفهومها الإسلامي. كما ينبغي عدم الخلط بين المعنويات والأخلاق التي جعلتها الجمهورية الإسلامية من مبادئها وبين حالات التديّن المتحجر الخالي من المنطق والجامد الذي

يسود الكثير من المجتمعات، وهو تديّن قشري يطفو على اللسان فقط ويشوبه الجمود وعدم تلمّس طريق السعادة للمجتمع والإنسان. فقيد "الإسلامية" هذا الذي يأتي بعد العدالة والحرّية والمعنويات ثرّ في مغزاه، ولابد من العناية به.
هذه المبادئ انبرى الإمام لبيانها أمام الجماهير والواعين قبل انتصار الثورة، وعلى أساسها أرسى الجمهورية الإسلامية بعد انتصار الثورة، وظلّ متمسكاً بهذه المبادئ وجاهد من أجلها مادام على قيد الحياة.
ولهذا فقد استطاعت الجمهورية الإسلامية كظاهرة عصرية فريدة إحياءَ الآمال في قلوب المسلمين، حيث أدرك الجميع في أرجاء العالم الإسلامي وخارجه أنها ليست نسخة تقليدية لما كانوا سمعوا من شعارات أطلقتها الألسن المتزلزلة لأنظمة الشرق أو الغرب، بل هي ظاهرة عصرية تتميز بحيويتها واقتدارها وحداثة حركتها. وعليه فمع قيام الجمهورية الإسلامية تجددت الحركة والآمال في نفوس المسلمين في ربوع العالم الإسلامي. وهكذا في الوقت الحاضر ؛ فالأمل الذي أحياه النظام الإسلامي في قلوب المسلمين مايزال حياً بالرغم من السموم والعراقيل التي تفتعلها أبواق الدعاية الاستكبارية ضد الجمهورية الإسلامية على الصعيد العالمي، وقد وضع المثقفون المسلمون والشبيبة المسلمة والأجيال الناهضة في البلدان الإسلامية هذا المعلّم اللاحب الزاخر بالأمل نصب أعينهم.
إنّ الغاية من كل هذه المحاولات التي تبذلها مراكز الهيمنة الدولية والسياسات الاستكبارية ـ وعلى رأسها أمريكا ـ ضد الجمهورية الإسلامية هي أنهم يحاولون القضاء على هذه الجهود وهذا المنهل لعلمهم بعجزهم عن بثّ روح اليأس لدى شعوب العالم التي تنشد العدالة والحق مادام هذا النبع متدفقاً ومادام مهد هذا الفكر حياً، لذا فإنهم يسعون للقيام بأحد أمرين: إمّا القضاء على هذا النبع قضاءً كلياً، وإمّا السعي لاستلاب ماهيّة الجمهورية الإسلامية.. ولعلمهم بتعذّر الأول في ظل وعي الشعب ويقظته، فإنهم يقومون باستبدال التوجهات وتشويه المفاهيم التي تعدّ من مسلّمات وبيّنات الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية، وإن بقيت محافظة على ظاهرها.
إنهم مافتئوا يروّجون على الصعيد العالمي أن الجمهورية الإسلامية تسير نحو الضعف والزوال يوماً بعد يوم، وهذا من الدعايات الدائمية لأعداء هذه الثورة وهذا النظام ؛ ولعلّ من السذّج مَنْ يصدقها، وربما تدخل هذه الدعايات الفتور والحزن والأسى لدى بعض الأصدقاء في أرجاء المعمورة، وتدخل السرور على الأعداء، لكن ذلك ليس نبوءَة تاريخية ولا هو تكهن علمي بل هو مؤامرة إعلامية ؛ فإذا كانت الثورة الإسلامية قد أصابها الضعف والهرم والعجز فلماذا ينفقون المليارات لمواجهتها؟! وإذا كانت الثورة الإسلامية قد لفظت أنفاسها فلماذا تلقي أمريكا بكل ثقلها السياسي والإعلامي في ساحة المواجهة مع هذه الثورة وتزداد عنجهية في منطقها يوماً بعد يوم؟! كلا، فهذه الثورة حيّة وعارمة وماضية إلى الأمام، وكذلك مازالت حركة الثورة وخطوطها الأساسية حيّة.

مبادئ الإمام هي مبادئ الإسلام
سأتطرق إلى ما ينبغي للشعب الإيراني معرفته ـ وقد أثبت معرفته به على مدى السنوات الثلاث والعشرين الماضية والحمد الله ـ، وكذلك سأتطرق إلى ما ينبغي لأعداء هذه الثورة وهذا الشعب معرفته:
فما يعلمه شعبنا وعليه التمسك به جيداً ـ وقد تمسك به لحدّ الآن والحمد الله ـ هو أن خلاص هذا البلد وبلوغه المستوى الذي يجدر بهذا الشعب إنّما يتيسر في ظل الإسلام والجمهورية الإسلامية والنظام الإسلامي وحسب ؛ وليعلم الشباب الذين لم يُدركوا مرحلة انتصار الثورة ولم تُبصر أعينهم سنوات ما قبل الانتصار أنه لولا الثورة الإسلامية وإمامنا العظيم ولو لم يرفع الإسلام راية الثورة والتغيير في هذا البلد لما كان هنالك أمل في استئصال السلطة الجهنمية للامتهان الأمريكي والحكومة الدكتاتورية البهلوية القاسية عن هذا البلد ؛ فلقد جرى اختبار كافة السبل في وطننا ففشلت وأخفقت بأجمعها ؛ ففي فترة من الزمن أطلّت مختلف الأحزاب السياسية والتيارات الموالية للشرق والغرب والحركات المسلحة برأسها داخل البلاد، لكن أيّاً منها لم يفلح في تقديم شيء لهذا الشعب ؛ لذلك فقد ازداد القمع والاضطهاد وطأةً في الوطن، حتى إن الشباب عندما أقدموا على الكفاح المسلح جرى قمع تلك الحركات المسلحة بشدّة، وتفاقمت هيمنة النظام البهلوي، فاستحوذ اليأس على القلوب شيئاً فشيئاً ؛ والشعب هو القوة التي كان بمقدورها الوقوف بوجه النظام البهلوي بالمعنى الحقيقي للكلمة ؛ أي كان على الشعب بأسره النزول إلى الساحة كي يفلح في دحر النظام البهلوي الفاسد العميل الدكتاتوري والجائر ومن خلفه أمريكا ؛ ولم يكن ثمة محفل أو مركز في إيران له القدرة على تعبئة الشعب سوى علماء الدين وحاملي رايته عبر رفعهم لشعار الدين، وهذه تجربة طويلة شهدها بلدنا، يجب التمعن بها بعين الدقة.
فعلى صعيد الحركة الدستورية، لولا العلماء لما قامت هذه الحركة ولا قدّر لها بلوغ النصر ؛ وحينما أقصى المتغربون وصنائع الإنجليز في إيران علماء الدين والشعارات الدينية عادت هيمنة الاستبداد والتسلط والنفوذ الأجنبي. وكذا الحال في حركة تأميم النفط، إذ كان للشعب حضوره في الساحة مادام علماء الدين وسط الميدان ـ حيث كان المرحوم آية الله الكاشاني من أبرز محاور الكفاح ـ ولكن حينما سحبت يد عالم خبير وواعٍ وشجاع نظير المرحوم الكاشاني، بسبب سوء التصرف وشذوذ الطبائع وحبّ

التفرّد، انسحبت الجماهير أيضاً وبقي قادة الحركة الوطنية لوحدهم، فصنع العدو معهم ما يحلو له.
طالما نزل الشعب في إيران إلى الساحة بنداءٍ من الدين، ففي ظلاله وجد العدالة، وحيثما كان العلماء الطليعة في أي تطورٍ لم يتخلَّ عنهم الشعب وذلك لثقته بهم ؛ ولذا فحينما اقتحم إمامنا العظيم الميدانَ كمرجعٍ وعالم دين، وإنسانٍ مجرَّب، طاهر صادق راسخ العزيمة، وتبعه العلماء في اقتحام الميدان، نزلَ الشعب بأسره إلى الساحة ولم يعد بمقدور العدو المقاومة.. يومذاك نجح الحضور الجماهيري في استئصال جذور الاستبداد من الوطن.
أيّها الإخوة والأخوات الأعزاء، إن الاستبداد في بلادنا كان على الدوام معتمداً على مساندة القوى السلطوية الأجنبية ؛ فاستبداد الحكم البهلوي ودكتاتوريته وطغيانه، ومن قبله الحكم القاجاري بأسلوب آخر، إنّما قام بسبب اعتماده على القوى الأجنبية ؛ فرضا خان كان معتمداً على الإنجليز، ومحمد رضا كان في البداية معتمداً على الانجليز ومن ثم اعتمد على أمريكا، فكان يضمن للأمريكان مصالحهم ونفوذهم، وهم يقومون أيضاً بحمايته، وكانوا يفعلون بهذا البلد ما يشاؤون، فأخضعوا الشعب لوطأة الاضطهاد خمسين عاماً ؛ وأوقفوا عجلة تطوره العلمي والصناعي والثقافي والأخلاقي في مرحلة كانت المثلى من بين المراحل وأكثرها نضجاً لبلوغ هذا التطور على الصعيد الدولي، وأبقوا على هذا الشعب وهذا البلد متخلفاً، وكان جلّ همّهم في حياة الدعة والرفاهية وجمع الثروات وتقديم الخدمة لأسيادهم الأجانب، وهؤلاء إنّما استتبّ لهم الأمر بشكل تام في إيران عبر اعتمادهم على القوى الأجنبية، ولم يكن شأن أيّ كان اجتثاثهم وتحطيم هذا البناء الأعوج الضار المليء باللعنة والبغضاء والشؤم ؛ فأطلّ الإمام العظيم حاملاً راية الهدى الإسلامية.. ولذا فإن مبادئ الإمام هي مبادئ الإسلام، وعدالته عدالة الإسلامية، وحاكمية الشعب التي جاء بها هي حاكمية الشعب الإسلامية.
من أنكى الاجحاف بحق إمامنا العظيم ونظامنا الإسلامي هو اتهام وسائل الدعاية الاجنبية للإمام والنظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية بالاستبداد والبعد عن حاكمية الشعب.. فإنه لمّا انتصرت هذه الثورة بما هي عليه من عظمة وقوة في إيران، أجري أول استفتاء شعبي على يدي الإمام مما لا سابقة له في أي ثورة ؛ فانظروا أن أي انقلاب أو أدنى تغيير يحدث في أي بلد يؤدي إلى تأخير الانتخابات سنتين أو ثلاث.. وفي بلدنا لم تكن للجماهير معرفة بصناديق الاقتراع، إذ كانت الانتخابات التي جرت في عهد النظام الطاغوتي صورية وكاذبة، فلم تتوجه الجماهير نحو صناديق الاقتراع كي تدلي بصوتها بالمعنى الحقيقي للكلمة، وكل من أرادوا إدخاله للمجلس العميل جاؤوا به من خارج صناديق التصويت.. فيما دفع الإمام بالجماهير نحو صناديق الاقتراع بعد شهرين من انتصار الثورة فصوّتوا لصالح الجمهورية الإسلامية، وفي غضون عام واحد توجه الشعب خمس مرات نحو صناديق الاقتراع، وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة مضت على عمر الثورة توجه أبناء شعبنا ثلاثاً وعشرين مرة إلى صناديق الاقتراع لانتخاب أعضاء مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء مجلس الخبراء ورئيس الجمهورية وأعضاء المجالس البلدية وكذلك لتعيين الدستور ونظام الجمهورية الإسلامية ؛ فأي نظام ـ وإن كان ديمقراطياً بظاهره ـ يعوّل بهذا الحجم على إرادة الشعب ورأيه؟ إن أعداء هذه الثورة والشعب الصلفين الوقحين يقترفون هذا الاجحاف ويتهمون الثورة والنظام ومهندسهما ومؤسسهما العظيم برفض حاكمية الشعب!

أصول الثورة الأساسية لا يطالها التغيير
إن حاكمية الشعب في النظام الإسلامي هي حاكمية الشعب الدينية، أي المرتكزة على رأي الإسلام، وهي ليست عقداً عرفياً، بل من صلب الرؤية الإسلامية الرجوع إلى رأي الأمة وإرادتها حيثما اقتضى الرجوع، ولذا فهي تبلور التزاماً إسلامياً، وليس على غرار الدول الديمقراطية حيث تلتزم بعقد عرفي يسهل نكثه ؛ فحاكمية الشعب في نظام الجمهورية الإسلامية تكليف ديني، والمسؤولون يقيدهم تعهد ديني في الحفاظ على هذه الخصيصة ويتعين عليهم تقديم الجواب عنه أمام الله سبحانه وتعالى. وهذا مبدأ كبير من مبادئ إمامنا العظيم.
ومن مبادئ النظام الإسلامي العدالة الاجتماعية وإقرارها، واحترام حقوق جماهير الشعب العريضة وتقليص التمايز الطبقي، كما أن مكافحة الفساد الإداري والاقتصادي وسوء استغلال الإمكانيات التي توفرها السلطة للأفراد ـ سواء كان الاستغلال مادياً أو سياسياً ـ تعتبر من أصول الثورة التي يجب الالتزام بها، وكذا إسداء الخدمة للجماهير والمحافظة على استقلال البلاد على كافة الأصعدة والتصدي لتغلغل الأعداء ونفوذهم، تعتبر من أصول الثورة التي لا تقبل التغيير ؛ فأصول الثورة وخطوطها الأساسية لا يطالها التغيير، ومظهرها جميعاً دستورنا الرفيع.
وبطبيعة الحال بوسع الحكومات والمسؤولين انتقاء خطط ومناهج متعددة لتطبيق هذه الأصول في مختلف المراحل، فأساس الثورة كإسلام يقوم على أحكام ثابتة وأخرى متغيرة ؛ فثمة مجموعة من الأحكام لا تقبل التغيير وأخرى تتغير بتغيّر الظروف ؛ وهكذا الثورة إذ إن الاجتهاد ميزة تتيح أمام المسؤول إمكانية اتخاذ المناهج والسبل والخطط السليمة بما تقتضيه الظروف، وبطبيعة الحال فإن اختيار الأسلوب أو الاجتهاد غايته العثور على منهج جديد ومناسب، وهو ليس كبدعة الجاهل ودعوة إعادة

النظر، بل هو شأن من يمتلك القابلية على الاجتهاد في هذا المضمار. وفي ضوء هذا تأتي رسالة الاجتهاد والمجتهد في النظام الإسلامي ؛ ونحن إذ نتمسك من ناحية بالأصول، نرفض التحجر والجمود على الثورة بدعوى التمسك بالأصول، فثمّة أصولية قائمة لكنها ليست تحجراً ولا تزمّتاً ولا جهلاً بتبدّل الظروف، ومن ناحية أخرى ينبغي عدم السماح للبدع ودعوات إعادة النظر بالنشاط والتحرك الضار المدمر بذريعة الاجتهاد والتغيير.

هذا هو الخط اللاحب لإمامنا العظيم.. وعليه فأصولنا ثابتة ومن بينها: العدالة، وحاكمية الشعب، والاستقلال، والدفاع عن حقوق الشعب على كافة الأصعدة، والدفاع عن حقوق المسلمين وعن كل مظلوم في أية بقعة في العالم، ومكافحة الفساد والظلم والغطرسة ؛ وهذه لا تقبل التغيير، بيد أن اختلافاً في الأساليب ربما يطرأ تبعاً لاختلاف الأوضاع والظروف.

لقد رسم الإمام مبادئ الثورة وأطرها بإتقانٍ ودقّة ووضوح لئلا تستطيع القوى السلطوية في العالم هضم هذه الثورة في ماكنتها الثقافية والقضاء عليها كسائر التغييرات السياسية ؛ فما يجدر بشعبنا معرفته والتمسك به هو هذه الأصول الثابتة، وربّما يتبيّن عجز الوزارات أو مجلس الشورى أو السلطة القضائية في مجالات شتى ولا يتحقق هدف ومرام الثورة والنظام الإسلامي، لكن هذا العجز راجع للمتصدين والمنفّذ ين، غير أن أعداء النظام يلصقون بالنظام ما يطرأ من ضعف في أي من الأجهزة وللأسف.

إن النظام يقوم على قواعد محكمة وخطوط واضحة، وإن الاستدلال والمنطق الذي يدعم المفاصل الرئيسة للنظام ممّا يتعذر التشكيك به، وعلى المسؤولين والمتصدين في مختلف قطاعات النظام الإسلامي ـ في السلطة التشريعية أو التنفيذية أو القضائية أو في القوات المسلحة وكل من تصدى للعمل في أي مرفق ـ علاج حالة الضعف لديهم، وإن طريق بلوغ هذا الشعب السعادة يكمن في تطبيق المبادئ التي اختطّها الإمام العظيم وجرى تثبيتها في الدستور وأعلن الشعب وفاءه لها مرات ومرات ؛ ولقد اتّضح أن العدو إنّما يناهض هذه المبادئ وكل ما يوصد الأبواب بوجه نفوذه ؛ والعدو يسعى للتسلّل من منافذ عديدة، وما على الشعب الإيراني وبالذات المسؤولين إلاّ التحلي بالوعي، وقد أثبت شعبنا العزيز وعيه على مر هذه السنين والتزامه بهذا الأمر والحمد الله.

خطاب سماحته في حرم الإمام الخميني (ره) ، 22/3/1423

الإمام الخميني (ره) ونظرية الحكومة الإسلامية

أهمية عمل الإمام (ره)
لقد كان اختيار عنوان «نظرية الحكومة الإسلامية» لهذا المؤتمر مهماً وحساساً في آن واحدٍ، لأن بيت القصيد في عمل الإمام الخميني هو مسألة «الحكومة الإسلامية» ؛ فلو كان قد أسقط الإمام عن هذه الثورة بكل خصائصها شعار إقامة الحكومة، أو اكتفى بمجموعة من الإصلاحات أو قام بأعمال على غرار ما حصل في حركة «عدالت خانه» (1) وتنظيمات المشروطة [الحركة الدستورية]، لما كان لذلك العمل أهمية تعادل عشر ما تحقق حالياً، ولما تمخض عن ذلك سوى ذهاب تلك الأسرة ومجيء جناح أو تيار المتدينين، بيد أن ذلك العمل كان شيئاً، وهذا العمل شيء آخر.
تكمن أهمية عمل الإمام في أنه طرح قضية حاكمية الإسلام ؛ فالحكومة الإسلامية لا تعني حكومة المسلمين، بل تعني سيادة الإسلام. ولو كانت تعني حكومة المسلمين فقط لكان غاية ما تسعى إليه هو أن يكون على رأس الأمور شخص مسلم، وأن يكون سلوكه حسناً، ولا يسمح أحياناً بظهور الفسق والفجور في المجتمع، إلا أن إدارة شؤون الحياة في البلاد لا تكون على أساس الإسلام، ويبقى عندئذٍ للأمزجة والأذواق والعادات والثقافات والفهم الخاطئ بمختلف أنواعه تأثير. بيد أن ما يصون المجتمع الإسلامي هو الحكومة الإسلامية بمعنى حاكمية الإسلام ؛ فكانت مهارة الإمام في طرحه لقضية حاكمية الإسلام.

ولاية الفقيه من واضحات الفقه الإسلامي
كما أن دعامة الإمام الخميني لحاكمية الإسلام هي ولاية الفقيه التي هي ذات ركيزة راسخة ومتينة ؛ فرغم تباين آراء العلماء حول ضيق وسعة دائرة ولاية الفقيه، إلا أن أصل النظرية من واضحات الفقه الإسلامي. وإذا لم يكن البعض قد طرحها في الماضي، أو نظروا إليها بفتور، فذلك يُعزى إلى أنهم رأوا عدم جدوى طرح ما لا يمكن تحقيقه عملياً. وإلا فليس هناك من الفقهاء من يجيز سيادة حكم آخر غير الحكم الإسلامي، وهذا ما يمكن ملاحظته في مختلف أبواب الفقه، وهو من المسلّمات. والتعابير التي استخدمها المرحوم صاحب الجواهر حول ولاية الفقيه تدل على أنها تعتبر في رأيه أيضاً من الواضحات ؛ فتعابيره، ليس في باب الولاية على الصغار فحسب، بل حتى في باب الجهاد والأبواب الفقهية الأخرى، تدل على أنه ينظر إلى دائرة الولاية بتلك السعة كجزء من واضحات الفقه الإسلامي.
كما صرّح فقهاء آخرون كالمرحوم النراقي بهذه المسألة، غير أننا لسنا بصدد طرح رأيه حالياً، وإنما نقصر حديثنا على أولئك الذين لم يعرضوا هذه المسألة في مباحثهم. والغرض من ذلك هو التأكيد على أن لولاية الفقيه أساساً متيناً، وقد طرح الإمام الخميني مشروعه بناءً على ذلك الأساس.

الحكومة الإسلامية تعني حاكمية الإسلام والدين
أرجو من السادة المتصدين لهذا المؤتمر، وخاصة الشباب الأفاضل ذوي الفكر الوقّاد والفاعل الالتفات ـ وخاصة في ضوء النكتة التي سأشير إليها لا حقاً، وهي نكتة تجعل القضية أكثر حساسية ودقة ـ إلى أن مشروع الحكومة الإسلامية التي دعا إليها الإمام الخميني وتريدون أنتم تثبيتها وتدوينها وتبيينها، لا تتحول عن غير وعي وإرادة إلى حكومة غير إسلامية. وهذه هي النكتة المطروحة في هذا التحدي الفكري فيما بيننا وخصومنا على الصعيد العالمي.
إن خصومنا لا يعارضون من يحمل اسم الإسلام ويحكم في مكان ما، وإنما المهم بالنسبة لهم هو أن يتولّى الدين إدارة شؤون المجتمع، ويطرح فكراً جديداً للعالم. ولهذا يجب عليكم الالتفات إلى أن الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه التي أبدعها الإمام الخميني وطرحها أمام العالم هي تلك الحكومة الإسلامية التي تعني حاكمية الإسلام والدين والشريعة، وهذا المعنى يجب أن يفهم جيّداً.
من الممكن أن يسعى فقهاؤنا وفضلاؤنا إلى تنقية الشريعة مما يوجد في فقهنا من نقاط ضعف ونواقص، فهذا بحث آخر، إلا أن ما يجب طرحه ـ وهو ما يمثل رأي الإمام الخميني قطعاً ـ هو أن تملأ أجواء المجتمع بالشريعة والفقه والأحكام والعمل الإسلامي، ولم يقبل أي بديل عن ذلك تحت أية حالة كانت.
كنت ذات مرّة أتحدث معه حول قضية مهمّة تتعلق بولاية الفقيه وما شابه ذلك، وعرضت عليه أثناء الكلام بأنني قبل الثورة عندما كنتُ أبحث مع الأفاضل والزملاء، كنت أرى بعضهم يقول إن الإسلام لا يوجد فيه منهج خاص في باب الاقتصاد، وأي منهج يتكفّل بتحقيق المثل الإسلامية كالعدالة مثلاً، فهو منهج إسلامي. بينما رأيُنا هو أن الإسلام قد بيّن الخطوط ووضع منهجاً وحدّد

إطاراً للاقتصاد الإسلامي يجب السير في ضوئه، فقال الإمام: "هذا هو الصحيح".
وأنا طبعاً لا أريد الاستناد إلى هذا المطلب لإثبات صحّة هذا الأمر، وإنما أريد الاستناد إلى أن رأيه كان هذا، وأنه لم يكن يرضى بما هو أدنى من ذلك.
وفي الموارد التي كانت تبحث فيها الأحكام الثانوية، كان يطرح هذا الرأي كحكم إسلامي وفقهي، وبقي على هذا الحكم إلى النهاية.
وكان هذا هو مبناه الفقهي أيضاً في مسألة الغناء ـ الموسيقى ـ التي طرح فيها رأياً جديداً. طبعاً ما قاله في كتاب المكاسب يختلف عن هذا المطلب في بعض الجوانب، غير انه طرح هذا الرأي على أساس المباني الفقهية دون أن يأخذ المصلحة وقبول الناس بنظر الاعتبار. فيجب تبيين رأي الإمام. من المحتمل طبعاً أن يوجد من لا يوافق على هذا الرأي في خطوطه الكلية أو تفاصيله الجزئية، غير أن رأي الإمام يجب أن لا يُحَرَّف. يجب عليكم ان تحرصوا على طرح رأي الإمام كما ورد في كلماته وكتبه وتوجيهاته وسلوكه. وهذه في رأيي مسؤولية تاريخية وأمانة في أعناقكم.

موقف مراكز السلطة العالمية من الحكومة الإسلامية
النكتة الأخرى هي أن أساس الحكومة الإسلامية جاء بديعاً في العالم، وجعل ميزة للثورة ميّزتها عن كافة الثورات المشابهة، وتم تثبيته في الدستور كمسألة جديدة تماماً، ومعناه أن يكون على رأس السلطة شخص نعلم بأنه لا تصدر منه أية مخالفة، وإذا صدرت منه مخالفة فهو غير خليق بهذا المنصب. وهذه نكتة في أساس الحكومة، والكثير من مشاكل الحكومات ناجمة عن عدم رعاية هذا الشرط.
طبعاً أثيرت ضجة حول هذا الموضوع وقيل إن هذه الفكرة قديمة ورجعية، في حين كانت هناك في عهد انتصار الثورة حكومات عديدة في العالم جاءت إلى السلطة بانقلابات عسكرية ؛ حيث يأتي ضابط بجزمته وبندقيته ويستولي على السلطة، وقد قُبلوا واعتُرف بهم رسمياً. ولكنهم عارضوا الحكومة الإسلامية والإمام ورفضوا هذه الحركة العظيمة ؛ وذلك لأنها طرحت نظرية جديدة في العالم قادرة على منافسة المعايير والثقافات السياسية التي كانت شائعة في العالم، وكانت لديها مقدرة تفوق مقدرة الماركسية والحكومة الشيوعية في بدء ظهورها. طبعاً الشيوعية صعد نجمها في ما بعد على أثر ما قامت به من دعاية وما قدّمته من أعمال وما اتصفت به من جذّابية. لكن لا يشك في أن مقدرة الحكومة الإسلامية كانت في بداية الأمر تفوق مقدرة الشيوعية، وقد شعرت جميع الدول التي يتواجد فيها مسلمون بهويّتها وشخصيّتها وأظهرت رغبتها نحوها.
لابد وأنّكم أيّها السادة على بيّنة من أن أهم ما تعنى به مراكز القوّة السياسية في العالم على المدى الطويل هي السلطة الثقافية. من المحتمل طبعاً أن لا تكون الثقافة هي الغاية الأساسية، لكن أهم ما يوفر لمراكز السلطة العالمية المقدرة الحقيقية والمضمونة على المدى الطويل هي السلطة الثقافية ؛ وذلك لأنها إذا هيمنت على بلد ما فإنّها ستكون مطمئنة البال. وتحظى مسألة الثقافة السياسية بالأهمية الأولى في نظرهم من بين المسائل الثقافية. وانطلاقاً من هذه الرؤية نجدهم يعيرون أهمية كبيرة للترويج لمبدأ الليبرالية والديمقراطية الغربية.

الحذر من التأثر بإيحاءات الثقافة الأجنبية
أودّ أن ألفت أنظاركم إلى أن الثورة جاءت بكلام جديد وهو نظرية الحكومة الإسلامية، إلاّ أن هذه النظرية لا تبقى جديدة على الدوام ؛ إذ من الممكن أن تعتريها بعض النواقص في البداية، أو قد تتعرض لاحقاً لسوء الفهم وتلحق بها بعض النواقص، وهذا ما يستدعي أن تعمل أفكار سليمة وقويّة بشكل دائم على تكاملها في اتجاهها الصحيح وسد نواقصها دون الإضرار بأصولها أو نفي أساس وجودها. وهذا العمل يتطلب التجديد. إلاّ أن ما أشرت إليه سابقاً ويتطلب منكم مضاعفة الدقة في عملكم هو وجوب الالتفات إلى أن عملية التجديد يجب أن لا تكون متأثرة بإيحاءات الثقافة الأجنبية، وهي تلك الثقافة الساعية وراء التسلط والهيمنة.
فاليوم تنفق الأموال من أجل نشر الثقافة الغربية في العالم كله، وتستخدم أساليب الكذب والدعايات والأفلام من أجل عرض أمور لا حقيقة لها أو من أجل تضخيمها وتجميلها وتلميعها وإظهارها أمام العالم وكأنها أمور حقيقية، في سبيل استقطاب الأفكار إليها. وهذا ما يتطلب منّا عدم التأثر بهذه الايحاءات.
كانت كلمة "الديمقراطية" متداولة على الألسن في بداية الثورة، وكان يُقال أحياناً قبل عودة الإمام "الجمهورية الديمقراطية الإسلامية". فجاءنا المرحوم الحاج أحمد الخميني بتوصية من الإمام وهي أن الإمام يقول أن لا تستخدموا كلمة الديمقراطية، وأن عنوان "الجمهورية الإسلامية" وحده كافياً. ولعل البعض قد أثارته الدهشة بأنّ كلمة الديمقراطية لا تستلزم مثل هذه الحساسية! إلاّ أن تلك الحساسية كانت صحيحة وصائبة تماماً ؛ وذلك لأن المصطلح الأجنبي يحمل معه بعداً ثقافياً، ويعكس نوعاً من

الشعور الذي يتأصل لدى الإنسان تدريجاً.
يجب عدم أخذ عينات من الثقافة الغربية، والديمقراطية الغربية، والليبرالية، في تبيين مباني الحكومة الإسلامية. قد توجد في ذات وبين ثنايا ولاية الفقيه أمور من هذا القبيل، ويجب علينا في مثل هذه الحالة كشفها وتنقيحها، ولكن يجب أن لا يستوحى ولا يفرض عليها شيء من خارجها. لننظر إلى سيرة الخلافة الإسلامية، والحكومة الإسلامية في صدر الإسلام، وفي عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، ونعمل على أساس الجوانب المقبولة منها ونركز عليها وندخل عليها ما تحتاج إليه من تنقيح يوماً بعد آخر.
ومن حسن الحظ أن شريحة جديدة من الشباب الأفاضل ظهرت اليوم في قم، وهي تفكر في هذه المسائل، ولكن يجب عليها الحذر من الآفات. يجب أن لا يتلاشى الصفاء والنقاء الذي يطبع هذه الفكرة الجديدة. ويجب أن لا نخدع من خلال تصورنا أننا نحن الذين نفكر، في حين أن ما يدور في أذهاننا لا يمت إلينا بصلة وإنما هو فكر أجنبي يختلج في أذهاننا وقلوبنا ومعلوماتنا ويفرز شيئاً إلى الخارج! علينا بالحذر من هذه الآفة.
يجب الاعتماد على المباني والمصادر الإسلامية والعمل على تكميل هذه النظرية من أجل السمو بها، وتبيانها بمختلف الأساليب.
تلقى اليوم شبهات يمكن الرد عليها بسهولة في أوساط طلبة العلوم الدينية، ولكن بما أنها تثار بأساليب وباصطلاحات الأوساط الثقافية، لهذا السبب يظنها البعض شبهات مهمة قد تترك تأثيراً على عقول بعض الناس. فيجب الرد عليها بأسلوب ومنطق قوي وبمعنويات عالية ؛ إذ إن للمعنويات العالية أهمية كبرى. ينبغي عدم الشعور بضعف أمام هذه الهجمات وهذه الأقوال.

الأمة الإسلامية بحاجة إلى القيادة اليوم
إننا لازلنا في أول الطريق، وأمامنا عمل كثير، وفي انتظارنا خطوات كبرى وأعمال جبّارة. فالأمّة الإسلامية بحاجة اليوم إلى قيادة ؛ وهذه المهمة تقع على عاتق هذا الشعب بصفته شهيداً ومثالاً للجميع {لتكونوا شهداء على الناس}.
الشهيد معناه الانموذج والأسوة، ولابد أن يكون هناك شعب نموذجي وأسوة لتقتدي به الشعوب. لقد بدّلت قضية الحرب أحوال الكثيرين ؛ فتصغيان هؤلاء الشباب والصمود في الحرب وعدم الرهبة أمام تهديدات الاستكبار وأمريكا، ليس بالأمر الهيّن.
إن نظام الجمهورية الإسلامية يقف اليوم بصلابة أمام أعتى قوة مادية في العالم، ليس من منطلق الرغبة في الحرب أو التحدي بل اعتماداً على نقاط قوّته، وهي الإيمان والعقيدة ومسايرة الشعب للحكومة، رغم أن الأعداء يريدون لنا الاعتماد على نقطة ضعيفة وهي القوة المادية والسلاح.
إننا نعتمد على نقطة القوّة الأساسية في نظام الجمهورية الإسلامية، ولسنا متخلّفين في هذا الميدان، بل استطعنا أن نقاوم، وسنستطيع بعد ذلك أن نقاوم أيضاً بعون الله. وفي مثل هذه الحالة سيكون شعبنا مثالاً لكل الشعوب، وسيرى المتفرجون هذه المسيرة، وسيكون هناك أشخاص يتجرأون ويضعون أقدامهم على هذا الطريق، وقد لا يجرؤ أشخاص آخرون ولا يضعون أقدامهم على هذا الطريق ؛ ولكن المسألة المهمة هي أن الطريق مرسوم وواضح.
وفي ضوء هذه الرؤية المستقبلية والمطامح التاريخية والعالمية يتضح أنّه مازالت أمامنا مهام كبرى، وهناك في انتظار نظامنا وثورتنا الإسلامية أعمال جبّارة، وأنتم الذين يجب أن تنهضوا بعبء هذه الأعمال.
عليكم ـ أيّها الشباب وأيّها الجيل الجديد من العلماء ـ أن تستندوا إلى الكتاب والسنة والفكر الإسلامي الصحيح واستقلال المعنويات وعلو الهمّة، ومن خلال عدم التدنّس بأشياء تافهة وحقيرة وبمسائل مادية وسياسية وعلاقات شخصية ـ وهي مسائل غلّت وللأسف أيدي وأرجل بعض الأشخاص ـ أن لا تتورطوا في هذه المسائل ؛ فأمثالكم يستطيعون أن يكونوا مفيدين جداً للمستقبل. ومسؤولية هذه الأعباء تقع على عاتقكم.

كلمة سماحته عند لقائه أعضاء الهيئة العلمية للمؤتمر «الإمام الخميني (ره) ونظرية الحكومة الإسلامية»، 19/10/1420

1. عدالت خانه، حركة قام بها الأحرار في إيران وأرغموا مظفر الدين شاه القاجاري (1854 ـ 1907) خامس ملوك السلالة القاجارية، على إنشاء دار للعدالة. ثم تطورت الأمور لاحقاً إلى قيام الحركة الدستورية وإقرار الدستور عام 1907.

استقلالنا

الشعار الأساس لثورتنا

إن الذي أريد قوله لكم اليوم أيها الأعزاء هو أن الشعار الأساسي لثورتنا كان مكوناً من كلمات ثلاث: الاستقلال، والحرية، والجمهورية الإسلامية. وهذا النظام الذي خاض النزال بكل قوة، رغم ما وضعوه أمامه من عقبات، مازال هو نفسه يشق الطريق متقدماً إلى الأمام.

إن شعار الحرّية هو من الشعارات الجذابة جداً، والمكرورة، والذي دبّجوا حوله الخطب والمقالات وألّفوا الكتب وأطلقوا الشعارات. لقد قيل الكثير حول الحرية، تارة باعتدال، وتارة بإفراط، وأخرى بتفريط، فظل شعار الحرية حياً. وأما شعار الاستقلال فقد راح طيّ التجاهل خلافاً لهذين الشعارين.

إن شعار الاستقلال لمن أهم الشعارات ؛ فلولا الاستقلال، لما استطاع شعب أن يحقق حرّيته ولا أن ينظر بعين الأمل لشعار حريته. إن هناك من يريد إنزال الستار على موضوع الاستقلال ؛ فبعضهم يفعل ذلك عمداً، وبعضهم سهواً، وبعضهم غفلة، والبعض الآخر خبثاً. وإنني أريد اليوم أيها الأخوة والأخوات الأعزاء أن أتحدث معكم حول الاستقلال مادامت الفرصة سانحة لذلك.

ماذا يعني الاستقلال؟

فما معنى الاستقلال؟ وماذا يحمل الاستقلال من مضمون وقيمة بالنسبة لشعب ما؟ إن معنى الاستقلال هو أن يصبح بوسع شعب تقرير مصيره بنفسه بمنأى عن أيدي الأجانب وبعيداً عن تدخلاتهم الخيانية والمغرضة، هذا هو معنى الاستقلال. فلو سلبوا شعباً استقلاله ؛ أي إذا تحكم الأجانب في مصيره ـ وهم الذين لا يهمهم أمره بالتأكيد ـ فإن هذا الشعب سيفقد أول ما يفقد شيئين: الأول: عزة نفسه، ومفاخره، والشعور بهويته. والثاني: مصالحه.

إن العدو عندما يسيطر على مصير شعب فإنه لا يأبه بأمره ولا يهتم بمصالحه. فالذي يأتي ليُحكم قبضته على رقبة شعب فإنه لا يفكر إلاّ في مصالحه الذاتية أولاً وآخراً. وإن الذي لا يأخذه بحسبانه أبداً هو مصالح ذلك الشعب الذي فقد استقلاله. وهناك الكثير من النماذج في هذا السياق في القرن التاسع عشر ومن ثم في القرن العشرين.

نماذج تاريخية

لقد جاء المستعمرون الأوروبيون وسيطروا على العديد من مناطق آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، فأذلّوا شعوبها، واستلبوا هويتها وثقافتها وثرواتها، وحتى إنهم سحقوا لغاتها وخطوط كتابتها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها، وظلوا في تلك البلدان قدر ما وسعهم ذلك، ثم كان جلاؤهم عنها. ولقد شاهدت بعينيّ بعض هذه النماذج، وسمعت عن بعضها، وقرأت حول البعض الآخر.

فمن ذلك بلاد الهند الكبيرة والمترامية الأطراف، حيث قدم الانجليز من أقاصي الأرض فاحتالوا بالتزوير والخداع ثم توسّلوا بالسلاح والقوة العسكرية حتى احتلوها، وظلوا يفرضون سيطرتهم عليها لأعوام طويلة، فاستذلّوا شعبها، ومحوا ذكر عظمائها، وانتهبوا ثرواتها.

لقد ملأ الانجليز خزائنهم وجيوب إقطاعييهم من أموال الهند وثرواتها، ولكنهم تركوا الهند تعاني من الفقر والمسكنة والبؤس، بل إنهم لم يقتصروا على نهب الثروات المادية، بل انتهبوا الثروات المعنوية أيضاً، وفرضوا على الهند لغتهم الانجليزية، حتى إن اللغة الرسمية في الهند وباكستان وبنغلادش ـ وهي التي كانت تتألف منها شبه القارة الهندية قديماً، والتي كانت مستعمرة إنجليزية ـ مازالت هي اللغة الانجليزية! لقد كانت تلك المنطقة تتحدث بعشرات اللغات المحلية، فعمل البريطانيون على نسخها ومحوها بقدر ما استطاعوا. فعندما يفقد شعب لغته، فإن هذا يعني أنه بات بمعزل عن ماضيه وتاريخه وعاداته وتقاليده وتراثه القيم.

وهناك نموذج آخر من البيرو في أمريكا اللاتينية ؛ فعندما كنت رئيساً للجمهورية قال لي رئيس البيرو: لقد عثرنا حديثاً على حضارة في قمة الازدهار أثناء الحفريات التي قمنا بها في بلادنا. وقال: لقد سيطر المستعمرون طويلاً على البيرو، ولكنهم لم يدعوا شعب البيرو ومثقفيهم وأصحاب الرأي فيها يفهمون بأنهم كانوا يملكون هكذا حضارة في الماضي! أي أنهم كانوا يحولون حتى بين الشعوب ومعرفة تاريخها والزهو بماضيها.

ونموذج ثالث من الجزائر ذلك البلد العربي المسلم ؛ فقد احتل الفرنسيون الجزائر عشرات السنين وأقاموا لهم حكومة هناك بقوة السلاح، وجعلوا حكامهم وضباطهم أصحاب السيادة فيها، وكان أول ما قاموا به هو محو الآثار الإسلامية والقضاء على اللغة

العربية. حتى إنني أيضاً، وعندما كنت رئيساً للجمهورية، استقبلت أحد المسؤولين الجزائريين الكبار لدى زيارته لطهران. وأثناء الحديث أراد أن يقول شيئاً، ولكنه لم يستطع التعبير عنه باللغة العربية مع أنه عربي ويتحدث العربية! فالتفت إلى وزير خارجيته وسأله بالفرنسية عن معنى تلك الكلمة بالعربية، فأخبره بذلك، ثم عاد واستخدمها في حديثه! أي أن زبدة ونخبة الشعوب ظلوا بمعزل عن لغتهم بسبب تأثير الاستعمار. وقد تحدث معنا المسؤولون الجزائريون بعد ذلك، وقالوا بأنهم بذلوا جهودهم لإعادة اللغة العربية بعد طرد الاستعمار.

أيها الأعزاء، وأيها الأخوة والأخوات.. إن انعدام الاستقلال في أي بلد يؤدي دائماً إلى مثل هذه الأمور، فيسلب الشعوب هويتها الوطنية ومفاخرها وماضيها التاريخي، وينتهب ثرواتها المادية، وينتزع منها لغتها وهويتها الثقافية! وهذا يحدث عندما تسيطر إحدى القوى على أحد البلدان.

لقد كان هذا هو الحال في عهد الاستعمار، وفي العهد التالي له والذي يعرف بعهد الاستثمار، والذي كان له وضع آخر.

وطبعاً فإن الاستعمار لم يحتل بلادنا أبداً ؛ أي أن الأجانب لم يستطيعوا المجيء إلى هنا وتشكيل حكومة انجليزية مثلاً، فالشعب الإيراني لم يسمح لهم بذلك. ولكنهم لم يكفوا عن بسط نفوذهم داخل إيران قدر المستطاع كلّما سنحت لهم الفرصة بذلك.

نماذج من تاريخ ايران

وبودّي أن أقدم لكم أربعة نماذج من تاريخنا القريب ؛ أي تاريخ المائة عام الأخيرة. وهذه النماذج الأربعة تكشف عما يتعرض له بلد وشعب عندما تتحكم سلطة أجنبية في أجهزته السياسية والثقافية.

فأحد هذه النماذج، نموذج المشروطية. إنكم تعلمون بأن عهد استبداد الحكومة القاجارية كان قد بلغ بالشعب شفير الهلاك.

فثارت الجماهير المتحرقة والمتحمسة وفي الطليعة علماء الدين ؛ ولقد كان قادة المشروطة رجالاً من أمثال المرجع المرحوم آية الله الآخوند الخراساني في النجف، وثلاثة من العلماء الكبار في طهران هم: المرحوم الشيخ فضل الله النوري، والمرحوم السيد عبد الله البهبهاني، والمرحوم السيد محمد الطباطبائي. وكان هؤلاء يستمدون دعمهم من الحوزة العلمية في النجف. فماذا كانوا يريدون؟ لقد كانوا يطالبون بإقرار العدالة في إيران ورفع الاستبداد عنها. فلما شاهدت الحكومة البريطانية غليان الجماهير الشعبية، وكان لها نفوذ شديد آنذاك في إيران، بثّت عناصرها بين المثقفين الذين كان ثمة عدد منهم في عداد هؤلاء النفر المتحمسين، فلا ينبغي غمط حقهم، ولكن عدداً منهم أيضاً كانوا من الخونة والعملاء! لقد كانوا عناصر للإنجليز، فرسم لم الانجليز الخطوط العريضة.

إن المشروطة لم تكن سوى شكل وتجسيد للحكومة الانجليزية ؛ فبدلاً من أن يتجه هؤلاء المثقفون صوب إيجاد جهاز للعدالة ذي قالب وشكل إيراني يعمل على تحقيق العدالة في البلاد، فانهم جاؤوا بالمشروطة! فماذا كانت النتيجة؟ لقد كانت النتيجة هي أن تلك النهضة الشعبية الكبرى، التي قادها العلماء والتي قامت باسم الدين والمطالبة بالدين، انتهت بعد فترة قصيرة إلى إعدام الشيخ فضل الله النوري شنقاً في طهران ـ وقبر هذا الشهيد العظيم موجود الآن هنا في الحرم ـ ثم ما لبثوا أن اغتالوا السيد عبدالله البهبهاني في منزله، وبعد ذلك فرضوا العزلة والوحدة على حياة السيد محمد الطباطبائي حتى فارق هذه الدنيا في صمت. وبذلك أعادوا المشروطة إلى ذلك الشكل الذي كانوا يريدون! هذه المشروطة التي انتهت أخيراً بحكومة على رأسها رضا خان!

وأما النموذج الثاني، فهو حكومة رضا خان نفسها ؛ فالانجليز كانوا قد عقدوا اتفاقاً مع الحكومة القاجارية يخوّل لهم حق التصرف في كافة الأمور المالية والعسكرية في إيران، فجاء العالم الواعي المرحوم السيد حسن المدرس وعارض هذا الاتفاق وحال دون التصديق على هذه اللائحة من قبل مجلس الشورى الوطني آنذاك. فلما وجد الانجليز أنهم لن يجنوا نفعاً من ذلك فإنهم فكروا في طريقة أخرى وتوصلوا إلى أنه لابد من دكتاتور على سدة الحكم في إيران حتى يقوم بقمع وقلع المدرس وأمثاله! وعليه أن يتصرف مع الشعب بعنف وجبروت بغية تنفيذ المطامع الانجليزية.

ولهذا فقد جاؤوا برضا خان إلى الحكم، وهو حدث مليء بالعبر في تاريخنا، وينبغي لشباب هذا البلد أن يطلعوا على حقيقته ؛ فقد تم التغلب على حالة الفوضى التي كانت تسود البلاد قبيل مجيء رضا خان وذلك بإعمال قبضته الفولاذية ومساندة الحكومة الانجليزية، ثم فرضوا على البلاد نظاماً قسرياً واستبدادياً أخذ بزمام السلطة لمدة خمس وخمسين سنة متواصلة. وكان النفوذ الانجليزي المتغلغل في الأجهزة السياسية والثقافية يضع الشعب عرضة للضغوط.

وأما النموذج الثالث، فهو نموذج شهر (شهريور) عام 0231هـ. ش الذي تم فيه عزل رضا خان عن الحكم بواسطة حماته القدامى وإبعاده عن البلاد، ثم جاؤوا بمحمد رضا وقد استسلم تماماً للانجليز! فكان يحقق لهم كل ما يرغبون، وبذلك لم تعد هناك حاجة للاستعمار! فعندما يكون هناك عنصر إيراني خائن مستعد لتسنّم السلطة مقابل الدعم الأجنبي وتنفيذ رغبات أولئك الأجانب في إيران فلا ضرورة حينذاك ليتعبوا أنفسهم ويستعمروا البلاد.

ثم جاء النموذج الرابع، وذلك في شهر (مرداد) 1332 هـ. ش بعد إسقاط حكومة (مصدق) ـ وكانوا قد فرضوا العزلة على المرحوم

آية الله الكاشاني من قبل بواسطة ما لهم من خدائع ـ ثم عادوا للسيطرة من جديد، ودخلوا إيران، واستطاعوا تدبير انقلاب (28 مرداد) عن طريق ما لهم من نفوذ وأيادي وأنشطة، فأعادوا محمد رضا إلى إيران بعد هروبه منها، وبذلك استمرت حكومة بهلوي الدكتاتورية السوداء لمدة خمسة وعشرين عاماً أخرى. فهذه مراحل تاريخية أربع مملوءة بالعبر والدروس.

فعندما يسمح شعب لقوة أجنبية بالنفوذ داخل أجهزته السياسية أو الثقافية، فسيكون هذا مصيره. ولو لم تقم الثورة الإسلامية، ولو لم يقم هذا الشعب بهذه الحركة التاريخية العظيمة بقيادة الإمام الراحل، فهل تعلمون ماذا سيكون وضع الشعب الإيراني الآن؟ إنهم لم يدعوا الشعب يقف عملياً على أي بعد من أبعاد التطور العلمي في الغرب ؛ فلا اختراع، ولا اكتشاف، ولا بناء، وهو الذي فقد كل مصادره الحيوية. لقد باعوا نفطه لهؤلاء الأعداء بثمن أقل من مياه الأنهار! فكان النفط لهم، ومصافي تكريره من عندهم، وكانت الاتفاقيات الطويلة الأمد تعقد لصالحهم! كما أن أعداء هذا البلد كانوا قد دبروا خطة أيضاً لانتهاب ما تبقى من مناجم ومصادر طبيعية، والاستحواذ على الأدمغة المفكرة، والإبقاء على المؤسسات العلمية ضحلة المستوى.

لقد عانى الشعب مرارة العيش في مرحلة النفوذ الأمريكي والانجليزي في إيران ؛ فالانجليز جلبوا التخلف خلال المائة عام الأولى، ثم جاء الأمريكيون فكرّسوا التخلف في البلاد بما كانوا يمارسونه من نفوذ. ومازلنا نشاهد حتى اليوم في كل مرحلة جديدة من مسيرتنا آثاراً من تقصيرهم وخياناتهم وسوء سلوكهم وتصرّفهم.

أحد أكبر مفاخر الثورة

إن أحد أبرز انجازات الثورة الإسلامية هو رفع يد أمريكا عن هذا البلد، وإن أحد مفاخر الثورة الإسلامية هو التغلب على نفوذ أمريكا وقطع يدها واقتلاع جذورها وإزالة عراقيلها من طريق هذا البلد. وبالطبع فإن بعض من تسنّموا السلطة في البداية في إيران، وكانت قلوبهم تنبض بحب أمريكا، لم يكونوا راغبين في تحقيق هذا الانجاز. ولقد شاهدت ذلك بعيني عن قرب في مجلس الدفاع الأعلى عام 8531هـ. ش ؛ فلقد كانوا يعدّون لائحة يتم على أساسها الإبقاء على وفود المستشارين العسكريين الأمريكيين ـ هؤلاء الذين ارتكبوا كل هذه الجرائم والخيانات ـ في جيش الجمهورية الإسلامية، ولكن بعنوان آخر! فقمت بالحيلولة دون ذلك، وقلت لهم ما هذا الذي تصنعون؟! ودار بعض النقاش، ثم تركوا الموضوع دون أن يكتمل، ولم يوفقهم الله تعالى بعد ذلك للقيام بهذا الاجراء إلى أن ذهبوا. ومرة أخرى، ولم يكن قد مضى من عمر الثورة الإسلامية عام واحد، وضع نفس هؤلاء السادة في الجزائر مشروع المحادثات مع الأمريكيين ـ الأعداء الدمويين لهذا الشعب ـ ولكن الإمام مانع في ذلك ولم يسمح به.

إن المرء يحق له أن يسيء الظن عندما يسمع اسم (الاصلاح) و (الحرية) من فم مثل هؤلاء الأشخاص. إنهم كانوا يريدون الاتيان بالأمريكيين من النافذة بعد أن خرجوا من الباب متوسلين بشتى الحيل بعد ثورة متألقة من هذا النوع، والذي كان حدها المسنون موجهاً ضد السيطرة الأمريكية. ثم يأتي هؤلاء الآن ليتحدثوا عن (الحرية) وينادوا (بالإصلاح) مستمدين الدعم من حثالة وعملاء النظام البائد! إن لكل إنسان عاقل أن يشعر بالقلق وسوء الظن. لقد كان الاستقلال بيت القصيد في منظومة الثورة الإسلامية ؛ أي قطع دابر النفوذ الأجنبي في هذا البلد، وعدم السماح لأمريكا وانجلترا وآخرين بممارسة نفوذهم في قضايانا السياسية والثقافية على الاطلاق.

خطاب سماحته في حرم السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) بقم، 7/7/1421

الحرّية في الإسلام

ثمّة قضيّتان مطروحتان بشأن مفهوم «الحرّية» ؛ احداهما وجوب انتهاج مبدأ الاستقلالية ـ وهو شعار آخر مطروح لدينا ـ أي ان نفكر على نحو مستقل دون تقليد ولا تبعية. أما إذا سرنا على منهج التقليد وفتحنا أبصارنا التي تُلقى علينا منها الأفكار الغربية فحسب، في هذه القضية التي تشكل قاعدة للكثير من اهتماماتنا ومجالات تطوّرنا، نكون قد ارتكبنا خطأً فاحشاً ينعكس علينا بنتائج مريرة.

الحرّية في القرآن والسنّة

أشير ابتداءً ان قضية الحرّية واحدة من المفاهيم التي أكد عليها القرآن الكريم وأحاديث الأئمة (عليهم السلام) مراراً. ومن الطبيعي ان الحرّية التي نتحدث عنها هنا لا تعني الحرّية المطلقة التي لا أعتقد ان أحداً في العالم يؤيّدها أو يدعو إليها.

كما اننا لا نقصد بها ايضاً الحرّية المعنوية المعروفة خاصة في المراتب العليا من المعارف الإسلامية، وهي نمط من الحرّية تسالم عليها كل أهل المعنى ولا نقاش بينهم حولها، على اعتبار انها لا تدخل في صلب بحثنا هذا. وانما المراد من الحرّية التي نتحدث عنها هاهنا هي الحرّية الاجتماعية.

حرّية التفكير والقول والاختيار، وما إلى ذلك حق إنساني ورد تكريمها في الكتاب والسُنّة. تقول الآية الشريفة 157 من سورة الأعراف {الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم}. لقد فرض الله من جملة ما فرض على أنبيائه ان يزيلوا القيود والأغلال عن الناس، أي يرفع عنهم الالتزامات المفروضة عليهم مما لم ينزل الله به من سلطان. وهذا مفهوم عميق وواسع.

فلو أخذنا بنظر الاعتبار الأوضاع التي كانت تعيشها المجتمعات الدينية وغير الدينية آنذاك نجدها كانت تنوء تحت وطأة الكثير من الآراء المتزمّتة كالمعتقدات البالية والخرافات والقيود الاجتماعية المغلوطة التي فرضتها أيدي الاستبداد أو التحريف على بني الإنسان، فكانت بمثابة الأغلال المضروبة عليهم.

عقد جورج جرداق، مؤلف الكتاب المعروف «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية» مقارنة بين جملتين احداهما للإمام علي (عليه السلام) والأخرى للخليفة الثاني عمر بن الخطاب قالها بعدما استقدم بعض ولاته في أعقاب ما رفع إليه عنهم من ظلم واستعباد للناس، فقال لهم بعد ان وقفوا بين يديه جملته المشهورة: «استعبدتم الناس وقد خلقهم الله أحراراً». والأخرى قالها أميرالمومنين عليه الصلاة والسلام ووردت في نهج البلاغة وهي: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرّاً». ويستخلص جورج جرداق بعد المقارنة بين القولين ان قول أميرالمؤمنين (عليه السلام) أفضل من قول عمر بمرات متعددة ؛ وذلك لأن عمر يخاطب في كلامه هذا أشخاصاً لا ضمانة لتسلطهم على الحريّات باعتبار انهم هم الذين يصفهم بقوله «استعبدتم الناس» وعليكم ان تمنحوهم حرّيتهم، وهذا نمط من أنماط المطالبة بالحرّية. أما النمط الآخر منها فهو خطاب أميرالمؤمنين للناس أنفسهم، وهو ما ينطوي تلقائياً على الضمانة التنفيذية لهذا الحق «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرّاً».

في كل واحدة من هذين القولين ميزة للحرية ـ إضافة إلى ما يتسم به كلام أميرالمؤمنين من خاصية الضمانة التنفيذية ـ احداهما هي السمة الفطرية للحرية «وقد خلقك الله حرّاً». وهي ما سأشير إليها لاحقاً عند المقارنة بين التصورين الإسلامي والغربي للحرية.

لا أروم اليوم القاء هذا البحث على نحو التفصيل. بيد انني سأسلّط مزيداً من الضوء على مقولة الحرّية والتحرّر في موضع آخر بإذن الله، إذ ان هناك الكثير من الكلام الذي يجب أن يطرح بشأن هذا الموضوع. وأكتفي اليوم بالاشارة إلى أحد بُعدي الحرّية، وأعني به بُعد الاستقلالية.

الحرّية والليبرالية

إذن فالحرّية الاجتماعية بمعناها المتعارف في الثقافة السياسية العالمية، ذات جذر قرآني. ولا ضرورة للعودة إلى ليبرالية القرن الثامن عشر في أوربا لاستطلاع ما قاله «كانت» و «جان استوارت ميل» وغيرهم، فنحن لنا رأينا ولنا منطقنا. أضف إلى أن هذه الأقوال لا تقدّم لنا أي حل لأسباب عديدة. وهذا ما يدعونا إلى القول بأنّ مقولة الحرّية مقولة إسلامية. ويبدو لي أن ثمة فريقين تتظافر جهودهما ضد النظر إلى الحرّية باعتبارها مقولة إسلامية ونابعة من هذه الارض ؛ الفريق الأول هم أولئك الذين يستشهدون

على الدوام في كلماتهم عن الحرّية بأقوال الفلاسفة الغربيين الذين ظهروا خلال القرون الثلاثة الأخيرة. مع ملاحظة ان الشرفاء منهم يذكرون أسماء أولئك الفلاسفة، أما الآخرون المتفلسفون الذين ينشرون آراءهم على صفحات الجرائد فينسبون أقوال «جان استوارت ميل» أو بعض الفلاسفة الفرنسيين أو الالمان أو الأمريكيين إلى أنفسهم دون الاشارة إلى أسماء أولئك، وهم يمارسون عملية تزييف على هذا النحو. إلا ان ذلك لا يمنعهم من إلقاء هذه الفكرة وهي ان فكرة الحرّية ومفهوم الحرّية الاجتماعية وفدا علينا من الغرب.

أما الفئة الأخرى التي تقدّم لهم اسباب العون جهلاً فهي تلك المجموعة التي ما ان تسمع بمفهوم الحرّية حتى يعتريها الرعب وتأخذ باطلاق صيحات الخوف على ذهاب الدين .

إلا انهم واهمون في موقفهم هذا وذلك لأن الدين أكبر منادٍ للحرية، والحرّية الصحيحة، والحرّية المعقولة أكبر هدية يقدمها الدين للمجتمع وللشعب. بفضل وجود الحرّية تتنامى الأفكار وتزدهر الطاقات. أما الاستبداد ففيه كبت للطاقات، وحيثما وجد الاستبداد ينعدم ازدهار الطاقات التي يدعو الإسلام إلى رعايتها. والطاقات البشرية يجب استخراجها كما تستخرج الثروات الطبيعية، من أجل ان يتسنى لها اعمار الدنيا. فهل يتحقق هذا بدون وجود الحرّية؟ وهل يتحقق هذا بالأمر والنهي وحدهما؟

يتضح لنا إذن سقم الفكرة التي تذهب إليها هذه الفئة. والحقيقة هي ان هاتين الفئتين ؛ المتغربين والمحتاطين ـ هكذا نسمّيهم ـ يتعاضدان في ما بينها ودون شعور منهما على اخراج مفهوم الحرّية من البيئة الإسلامية، وهذا ما يتعارض طبعاً مع حقيقة ان مفهوم الحرّية مفهوم إسلامي.

أشير هنا إلى ان الإسلام أعطى للحرية الاجتماعية زخماً أكبر مما أعطته ايّاها المذاهب الغربية على ما فيها من تفسيرات ليبرالية متعددة. أي منذ ما أعقب عصر النهضة وانتشار الفكر الليبرالي في فرنسا وفي أوربا ومن بعدهما في كل أرجاء العالم، وانتهى بقيام الثورة الفرنسية، ثم استغل في ما بعد على نحو مشوّه في حروب استقلال أمريكا، وإلى حين صدور المنشور الأمريكي ـ إلى آخر ذلك من المواضيع المطوّلة التي يستلزم الحديث عنها فرصة أوسع ـ طُرحت منذ ذلك الوقت وحتّى العصر الحاضر عشرات التفسيرات لمفهوم الليبرالية. وخاصة في الآونة الأخيرة حيث ما برح المنظرون الأمريكيون ومن يدور في فلك أمريكا يدبّجون المقالات في هذا المضمار.

أود أن أبيّن لكم ان الكثير من هؤلاء المفكرين، وحتى غير الأمريكيين منهم يكتبون في هذا المجال، وخاصة في ما يتعلق بالليبرالية، بناء على توصيات من الأجهزة الأمريكية. وربّما تؤلف كتبهم في النمسا أو في ألمانيا أو في فرنسا، إلا انّها تطبع في نيويورك، بتوصيات أمريكية ؛ ولأن منطلقاتها تصب في سياق الأهداف الأمريكية.

وهذا الموضوع بحد ذاته موضوع ذو شجون. وخلاصة الكلام هي ان هذه التفسيرات، وعلى الرغم من تنوّعها، إلا ان الرؤية الإسلامية تبقى رؤية راقية.

يواجه الغربيون مشكلة عند محاولاتهم اعطاء الحرّية طابعاً فلسفياً، ويؤكدون على ضرورة وجود أدلة وجذور فلسفية لحرية الإنسان. وقد طرحت في هذا المجال آراء وكلمات شتّى. وذهبوا في تبريرهم لضرورة وجود الحرّية مذاهب شتّى من قبيل المنفعة، والخير الجماعي، واللذة الجماعية، واللذة الانفرادية، أو على أكثر الاحتمالات، هي حق من الحقوق المدنية. إلا ان هذه التبريرات كلّها واهية، وحتى هم أنفسهم طعنوا فيها.

إذا أمعنّا النظر في ما كتب عن الليبرالية في السنوات الأخيرة، نلاحظ انّ الكثير منه كان مضيعة للوقت ولا طائل من ورائه وأشبه ما يكون بمساجلات القرون الوسطى حول مفهوم الحرّية ؛ كأن يطرح أحدهم رأياً فيرد آخر عليه، فينبري الأول للرد على الثاني وهذه في الحقيقة ملهاة لا بأس بها! لمثقفي العالم الثالث ليكون أحدهم نصيراً لنظرية ويكون الآخر نصيراً لنظرية أُخرى، ويقتنع أحدهم باستدلال ما، ويكتب شخص آخر تعليقاً على هذا الاستدلال، وينسب شخص آخر نظرية غيره لنفسه. وأكثر ما قالوا في هذا الباب هو ان مصدر الحرّية والحكمة من وجودها حق إنساني. في حين ذهب الإسلام إلى ما هو أسمى من هذا حين اعتبرها ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ أمراً فطرياً ملازماً لطبيعة الإنسان. صحيح أنّها حق، ولكن حق يفوق سار الحقوق من قبيل حق الحياة. مثلما ان حق الحياة لا يمكن وضعه في مصاف حق السكن وحق الاختيار وما إلى ذلك، فكذا الحال في ما يخص حق الحرّية الذي يعتبر أرفع واسمى من هذه الحقوق، بل هو الارضية والقاعدة لها جميعاً. هذا هو رأي الإسلام في الحرّية.

لاشكّ في ان هنالك استثناءات. فهذا الحق يمكن سلبه في بعض الأحوال كحق الحياة ؛ فإذا ما قتل شخص شخصاً يُقتص منه، وإذا ما أفسد يُقتص منه. وهذا المعنى ينطبق أيضاً على حق الحرّية. غير ان مثل هذه الحالات تعكس وضعاً استثنائياً.

يتضح من هذا خطأ الفكرة التي تصور وكأن الحرّية الاجتماعية فكرة وفدت علينا من الغرب، وكلّما شاء أحدنا الاتيان بكلام جذاب ومثير لابدّ له احالة المقابل لقراءة كذا كتاب لكذا مؤلف غربي. هذا أمر مرفوض ويجب علينا التفكير بالاستقلالية والرجوع إلى مصادرنا الإسلامية. وعلى الإنسان ان يستفيد من افكار الآخرين لإنارة عقله والعثور على النقاط المضيئة، لا أن يتعامل معها من باب التقليد ؛ لأن التقليد تترتب عليه أضرار لا تحمد عقباها.

الفوارق الأساسية للحرية في المنطق الإسلامي وفي المنطق الغربي

كان من جملة ما استخلصته من هذا السجال الفكري والصحفي ـ وهو كما سبقت الإشارة ظاهرة مباركة ـ هو ان الكثيرين لا يلتفتون إلى حقيقة هامّة تتلخص في وجود ثلاثة فوارق اساسية بين الحرّية في المنطق الإسلامي وبين الحرّية في المنطق الغربي. وكما أشرت فان الليبرالية تتألف من خليط من نظريات وآراء وتوجهات شتّى، ولعل بعضها يختلف عن البعض الآخر في بعض المجالات إلى حدٍّ بعيد.

الليبرالية في المنظور الغربي معناها حرية الإنسان دون النظر إلى حقيقة الدين والخالق، ولذلك فهم لا يعتبرونها هبة إلهية للإنسان وانما يبحثون عن جذور فلسفية لها، وطرحوا بشأنها تفسيرات شتّى.

أما في الإسلام فالحرّية ذات جذر إلهي، وهذا بحد ذاته فارق اساسي تتفرع عنه فوارق عديدة. ويذهب المنطق الإسلامي إلى اعتبار أي تحرك مُناهض للحرية بمثابة تحرك مضاد لظاهرة إلهية ؛ بمعنى انه يُلقي على المقابل فريضة دينية للتصدي لأي محاولة لسلب الحريات. ومثل هذا التصور لا وجود له في الغرب. أي ان الكفاح الذي يخوضه الناس في سبيل الحرّية ليس له أي تبرير منطقي في وجهة نظر الليبرالية الغربية. لأن من جملة ما يُقال في هذا الصدد هو ان في «الحرّية» خيراً عاماً ومنفعة للأكثرية. أي ان هذا هو منطلق الحرّية الاجتماعية. إلا ان التساؤل الذي يُثار هنا هو لماذا أُقتل وأُعَذَّب في سبيل مصلحة الأكثرية؟ هذا أمر بعيد عن المنطق.

لاشكّ في ان حالة التفاعل والحماس الآنيان تدفع بالكثيرين نحو ميادين الحرب والقتال ولكن ما ان يخرج احد المقاتلين تحت لواء مثل هذه الأفكار، من ساحة القتال حتى تعتريه الهواجس والشكوك في الاسباب التي من أجلها يضحّي بحياته.

في الفكر الإسلامي لا تسير القاعدة على هذا المنوال وانما يُنظر إلى الكفاح من أجل الحرّية كتكليف ديني، لأنه يجري في سبيل أمر إلهي. وكما اننا مكلفون باغاثة من يتعرض لخطر القتل مثلاً، وان لم نفعل نقارف ذنباً. فهكذا الحال أيضاً في مجال الحرّية التي يعتبر الدفاع عنها تكليفاً.

ويترتب على هذا الفارق الأساسي فوارق أخرى فرعية ؛ منها على سبيل المثال ان الليبرالية تؤمن بالحرّية المطلقة انطلاقاً من اعتقادها بنسبية الحقيقة ونسبية الأخلاق. ويبررون ذلك بالقول انك لا ينبغي لك مؤاخذة من ينتهك ما تدين به من معتقدات ؛ وذلك لأنه ربّما لا يعتقد بمثل ما تعتقد به. ويترتب على هذه القاعدة طبعاً عدم وجود أي حد للحرية لا معنوياً ولا أخلاقياً. وهذا التصور نابع من عدم إيمانهم بوجود حقيقة ثابتة، وان القيم الإنسانية أمور نسبية.

أما الإسلام فلا يذهب إلى هذا الرأي وانما يؤمن بوجود قيم ثابتة ومسلّم بها، وبوجود حقيقة الكمال والقيم التي يسير الإنسان نحوها. والحرّية انما تكون محدودة في اطار هذه القيم. أما كيفية فهم هذه القيم وتحديد معالمها فهو موضوع آخر لعل البعض يسلك المنهج الصحيح في فهمه، وقد يسلك البعض الآخر مسلكاً خاطئاً في استيعاب مضامينه. وعلى كل حال فالحرّية محدودة في اطار الحقيقة وفي اطار القيم. وحتى هذه الحرّية الاجتماعية التي يكرّمها الإسلام إلى هذا الحد، إذا استغلت في طمس المعطيات المادية أو المعنوية لشعب ما تصبح حينئذاك مضرّة ومثلها تماماً كمثل حياة الإنسان {من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنّما قتل الناس جميعاً}.

هذا المنطق القرآني الذي يصوّر قتل الإنسان وكأنه قتل لجميع الناس، منطق يلفت الانتباه ؛ لأنه يعتبر هذا العمل انتهاكاً لكرامة الإنسانية. غير انه يستثني من ذلك «بغير نفس أو فساد في الأرض». إذن فالحقائق والقيم الثابتة المسلّم بها هي التي تحدد اطار هذه الحرّية. مثلما تحدد أيضاً حق الحياة.

الفارق الآخر في النظرة إلى الحرّية هو ان الغرب ينظر إليها في اطار المصالح المادية. وحتى الحريات الفردية والاجتماعية تتحدد في ضوء هذه الرؤية. فعندما يكون هناك مساس بالمصالح المادية تضيق رقعة الحرّية. وحتى ان المصالح المادّية تشمل هنا الهيمنة العلمية لتلك البلدان. فمن المعروف ان حق التعليم والتربية من جملة الحقوق والحريات المسلّم بها لكل إنسان. إلا ان رقعة هذه الحرّية تضيق في الجامعات الكبرى للدول الغربية ؛ إذ لا يجوزون انتقال العلوم والتقنية المتطورة إلى بعض البلدان مخافة ان تخرج التقنية من احتكار هذه الدول مما يفقدها تسلطها وهيمنتها في هذه الحقول. هنا تكون للحرية حدود فلا يحق للاستاذ تعليم طلاب بلد من العالم الثالث ؛ كالطلبة الإيرانيين أو الصينيين على سبيل المثال أسرار كذا علم.

وهكذا الحال أيضاً في مجال انتقال المعلومات والأخبار. هنالك اليوم ضجّة في العالم تنادي بحرية تداول الأخبار والمعلومات ليطلع الناس عليها. وهذا من مصاديق اشاعة الحرّية في الغرب. إلا ان أمريكا حينما شنّت هجومها على العراق ـ على عهد رئاسة بوش ـ فرضت رقابة صارمة على المعلومات لمدّة اسبوع أو أكثر، وأعلن رسمياً بأنه لا يحق لأي صحفي نقل أو نشر أية صورة أو خبر عن الهجوم الأمريكي على العراق. كان الجميع على معرفة بوقوع الهجوم استناداً إلى الخبر الذي أذاعه الأمريكيون أنفسهم، إلا انهم لم يسمحوا لأحد بالاطلاع على التفاصيل بذريعة ما ينطوي عليها من خطر على الأمن العسكري. إذن فالأمن العسكري

يقيّد حق الحرّية وهذا القيد هو قيد مادي طبعاً.
هذا فضلاً عن ان توطيد ركائز تلك الحكومات يمثل قيداً آخر على الحريات. ولابدّ وانكم سمعتم ما حصل في أمريكا قبل حوالي خمس سنوات ـ وهو ما نشرته الصحف تلك الأيام، وقد أتيح لي الاطلاع على معلومات أكثر عن تلك الحادثة ـ حينما ظهرت جماعة تحمل توجهات دينية خاصة ضد الحكومة الأمريكية ـ في عهد الرئيس الحالي كلينتون ـ فحاولت السلطات الأمريكية القضاء عليهم عبر الأساليب الأمنية ولكن دون جدوى، فلجأت إلى محاصرة الدار التي اجتمعوا فيها وأضرمت النار فيها ؛ فالتهمت النيران أجسادهم وكان عددهم حوالي ثمانين شخصاً بينهم نساء واطفال. ولعله لم يكن بينهم عسكري واحد. وقد نشرت صور الحادثة يومها وشاهدها العالم بأسره.
تلاحظون إذن ان حرّية الحياة، وحرية المعتقد، وحرّية الكفاح السياسي مقيّدة بهذه الحدود. ويستخلص من هذا ان الحرّية في العالم المادي الغربي لها حدودها وقيودها أيضاً. غاية ما في الأمر انها قيود مادية..
أما القيم الأخلاقية فلا تشكل هناك أي حاجز أمام الحرّية. فهناك ـ على سبيل المثال ـ في أمريكا حركة الشذوذ الجنسي، وهي من الحركات الناشطة وتتباهى بسعة نشاطها وتنظم التظاهرات في الشوارع، وتنشر ما تشاء من الصور في المجلات، وتشير بكل فخر إلى أسماء التجار والساسة الذين ينتمون إليها، من غير أن ينكر أحد منهم مثل هذا الانتماء أو يشعر بالخجل منه. والادهى من ذلك هو ان بعض من يعلنون معارضتهم لهذه الحركة يواجهون هجمة شرسة من بعض الصحف والمجلات. وخلاصة القول هي ان القيم الأخلاقية لا توجب لديهم فرض أي قيود على الحرّية.
من الأمثلة الأخرى الشائعة في الدول الأوربية هي ان حرية البيان تتقيّد بعدم الدعاية لصالح الفاشية، ومن الواضح ان الدافع الكامن وراءه دافع مادّي ومنفعة حكومية. في حين ان حركة العري ـ وهي حركة أخرى أيضاً ـ لا تفرض عليها مثل هذه القيود.
وهذا يعني ان حدود الحرّية وفقاً للنظرة الغربية وفي ظل جذورها ودوافعها الفلسفية، تتقيد بالحدود المادية لا الأخلاقية. غير ان الإسلام يقر قيوداً أخلاقية لها. أي انه يعتقد بحدود معنوية للحرية فضلاً عن تلك الحدود المادية. ولاشك طبعاً في وجوب تقييد حرّية كل من يقدم على عمل فيه اضرار بمصلحة البلد. وهذا أمر منطقي. إلا ان القيود المعنوية موجودة ايضاً.
إذا كان الإنسان يؤمن بعقيدة ضالّة فلا مؤاخذة عليه. وحينما نقول لا مؤاخذة عليه فذلك يعني إنه مؤاخذ أمام الله وأمام المؤمنين، إلا ان الحكومة غير مكلفة باتخاذ أي اجراء ضدّه. كان اليهود والمسيحيون واتباع بقية الأديان موجودين في المجتمع الإسلامي في زمن صدر الإسلام، وفي بلدنا في الوقت الحاضر، ولا مانع من ذلك. أما إذا حاول صاحب العقيدة الفاسدة اضلال الناس البسطاء ـ لابدّ ـ من وضع قيود أمام حريته. وهذا المثال ينطبق أيضاً على من يبتغي اشاعة الفساد السياسي أو الفكري أو الجنسي، وعلى ادعياء الفلسفة ممن يدأبون على تدبيج مقالات تقدح على سبيل المثال بالدراسات العليا للشباب وتحصي ما فيها من المعايب والنواقص. من الطبيعي أن مثل هذه المقالات عديمة التأثير بنسبة تسعين بالمائة، لكنها من المحتمل أن توثر على بعض الشباب الكسولين بنسبة عشرة بالمائة. ولا يجوز في مثل هذه الحالة السماح لمن يتّبع أساليب الخداع والأكاذيب لصرف الشباب عن مواصلة الدراسة.
الحرّية لا تعني الأكاذيب ولابث الاشاعات والأراجيف.
إن مما يحز في النفس هو عدم الرجوع إلى الدراسات والمبادئ الإسلامية في ما يخص قضايا الحرّية. ورد في الآية 60 من سورة الأحزاب {لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغريئك بهم}. المنافقون والذين في قلوبهم مرض فئتان وإلى جانبهما فئة المرجفين الذين يثيرون الرعب والخوف على الدوام في أوساط المجتمع الإسلامي الوليد الذي يجب أن يكون أفراده في حالة استعداد روحي دائم للدفاع عنه، إلا ان فئة كانت تقع في النفوس كوقع الآكلة، وتثبط العزائم والهمم. وهؤلاء هم المرجفون الذين يحذرهم القرآن انهم إذا لم يكفوا عن عملهم، ليغريئك بهم ويؤلبك عليهم. وهذا حد للحرية. إذن الفارق الآخر الذي تتسم به الحرّية في المنطق الإسلامي هو ان لها قيوداً من القيم المعنوية.
وهناك فارق آخر ايضاً وهو ان الحرّية في منطق الفكر الليبرالي الغربي تتنافى مع التكليف ؛ على اعتبار ان الحرّية تعني التحرر من التكليف أيضاً. في حين يذهب الإسلام إلى ان الحرّية هي الوجه الآخر للتكليف، والناس أحرار لأنهم مكلفون. وإذا لم يكن هناك تكليف فلا ضرورة للحرية، ولكانوا على طبائع الملائكة ؛ وكما قال الشاعر مولوي [ما معناه] انه جاء في الحديث ان الخلاق المجيد خلق العالم على ثلاثة أنماط، وأحد هذه الأنماط هم الملائكة الذين كلّهم عقل وعلم ولا يعرفون غير السجود لله.
بينما يتصف البشر بأنه مركب من جملة غرائز ودوافع متناقضة يسير من بينها على طريق الكمال. وقد منح الحرّية من أجل طي طريق الكمال هذا.
وهذه الحرّية على ما لها من قيمة انّما مُنحت له من أجل تكامله، مثلما ان حياته نفسها وهبت له في سبيل السير نحو الكمال. {ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} فهو تعالى خلق الجن والانس من أجل ان يبلغوا مرتبة العبودية، وهي مرتبة عالية جداً. والحرّية ايضاً كحق الحياة، تمثل مقدّمة للعبودية.

بلغوا في الغرب في رفضهم للتكليف مرحلة رفضوا معها كل تفكير ديني وغير ديني، وكل عقيدة فيها تكليف، وحلال وحرام، ويجب أو لا يجب. ويلاحظ حالياً في مؤلفات الكتّاب الليبراليين الأمريكيين ومن يحذون حذوهم، ومن يتخذونهم بمثابة أنبياء لهم ـ مع انهم ينتمون إلى أمم في بلدان أخرى، ويشكل بعض الأفراد في بلداننا ـ وللأسف ـ فئة منهم ـ انهم يذهبون إلى انّ الفكر الغربي الحر يتعارض مع مبدأ «يجب أو لا يجب» ومع كل مبدأ عقائدي. في حين يقف الإسلام على طرف نقيض من ذلك ويعتبر الحرّية مواكبة للتكليف لكي يستطيع بواسطة هذه الحرّية اداء تكاليفه على نحو صحيح، وينجز أعمالاً كبرى، ويستطيع بلوغ التكامل.

خطاب القائد في جامعة إعداد المعلّمين بطهران، 11/5/1419

نداء ولي أمر المسلمين إلى حجاج بيت الله الحرام، 1428

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله الأطيبين وصحبه المنتجبين.
السلام على حجاج بيت الله، ضيوف بيت الحبيب، والملبين لدعوته. وتحيات عطرة إلى القلوب الطرية النضرة بذكر الله المفتوحة أبوابها على فيضه العميم ورحمته السابغة. فخلال هذه الأيام والليالي والساعات الإكسيرية، ما أكثر أولئك الذين قدّروا الموقف حق تقديره فسلّموا أنفسهم إلى أجواء الانجذاب الروحي، لينوّروا صحائف قلوبهم وأرواحهم بالإنابة والتوبة ؛ ويزيلوا صدأ الذنوب والشرك من وجودهم بالغوص في أمواج الرحمة الإلهية التي ما انفكت تتواصل في هذا الوادي المقدس. فسلام الله على هذه القلوب النبيهة وأصحابها الأطياب.
يجدر بجميع الإخوة والأخوات أن يفكروا في مثل هذا المكسب، وأن يغتنموا هذه الفرصة الثمينة. فلا يسمحوا لعلائق الحياة المادية ـ التي تشكل همّنا المستمر ـ أن تشغل وتلهي القلوب، وأن يطيروا بقلوبهم المتشوقة في فضاء التوحيد والقيم الروحية الأصيلة، مستعينين بذكر الله وبالإنابة والتضرع إليه، وبالعزيمة الراسخة على الصدق والاستقامة في العمل والتفكير، ليتزوّدوا بذلك، من أجل الصمود والمثابرة في سبيل الله والصراط المستقيم.
هنا مثابة التوحيد الحقيقي الخالص. هذا هو المكان الذي جاء فيه إبراهيم الخليل (عليه السلام) بفلذة كبده إلى المذبح، كي يسجّل لجميع الموحّدين على مرّ تاريخ العالم رمزاً للتوحيد، يتمثل في الغلبة على النفس والتسليم التام لأمر الله. وهنا المكان الذي رفع فيه سيدنا محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله) رآية التوحيد أمام المستكبرين وأصحاب المال والسلطة من أهل زمانه ؛ واعتبر البراءة من الطاغوت ـ بجانب الإيمان بالله ـ شرطاً للنجاة والفلاح ؛ (فَمَنْ يَكفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) (1) .
إن الحج هو إعادة قراءة هذه الدروس العظيمة وتعلّمها. إن البراءة من المشركين ومن الأصنام وصنّاعها، تشكل الروح المسيطر على حج المؤمنين. إن الحج بكلّ مواقفه ومواقعه، يجسد حقيقة الخضوع الله والعمل في سبيله، والبراءة من الشيطان ورميه ورفضه والتصدي له. كما أن الحج بكلّ تفاصيله، يشكل رمز الوحدة والتلاحم بين أهل القبلة، وانتفاء فوارقهم الطبيعية والاعتبارية، وتبلور وحدتهم الحقيقية وأخوتهم الإيمانية.
إنها دروس، علينا ـ معشر المسلمين في كل أرجاء العالم ـ أن نتعلمها ونبرمج حياتنا ومستقبلنا على أساسها.
لقد أكد القرآن الكريم على الوقوف بقوة واقتدارأمام الأعداء، والتعامل بالعطف والمحبة بين المؤمنين، والعبودية والخشوع أمام الله، وذلك كمؤشرات ثلاثة للمجتمع الإسلامي: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً) (2) فهذه الأركان الرئيسية الثلاثة هي من أجل بناء كيان الأمة الإسلامية المرتكز على العزّ والمجد.
على ضوء هذه الحقيقة، يمكن للمسلمين بجميع أفرادهم، أن يتعرفوا جيداً على ما يعانيه العالم الإسلامي وما يعتريه من مشاكل في الوقت الراهن.
إن عدو الأمة الإسلامية الغادر، يتمثل اليوم في الرؤوس المديرة للمراكز الاستكبارية والقوى ذات النزعة التوسعية والعدوانية، ممن يعتبرون الصحوة الإسلامية تهديداً كبيراً لمصالحهم اللامشروعة وسيطرتهم الغاشمة على العالم الإسلامي. إنه على جميع الشعوب المسلمة ـ وفي مقدمتهم السياسيون وعلماء الدين والمثقفون والقادة الوطنيون في كل دولة ـ أن يشكلوا الصف الإسلامي الموحد بالمزيد من القوة والصلابة أمام هذا العدو المعتدي. عليهم أن يجمعوا في أنفسهم كل عناصر القوة وأن يجعلوا الأمة الإسلامية قوية فعلاً. إن التحلي بالعلم والمعرفة، والحكمة والتدبير واليقظة، والشعور بالمسؤولية والالتزام بها، والاتكال على الله والأمل في الوعد الإلهي، وغض الطرف عن المطالب التافهة الحقيرة أمام نيل رضا الله والعمل بالواجب، كل ذلك يعتبر العناصر الرئيسية لقوة الأمة الإسلامية واقتدارها، مما يحقق للأمة ما تصبو إليه من عزّ واستقلال وتقدم في المجالين المادي والمعنوي، ويفشل العدو في محاولاته التوسعية وتطاوله على الدول الإسلامية.
إن عنصرالعطف والرأفة بين المؤمنين، يشكل الركن الثاني ويعتبر مؤشرا آخر للحالة المنشودة للأمة الإسلامية. فإن نشوب الفرقة والصراع بين صفوف الأمة، يعتبر مرضاً خطراً يجب العمل على علاجه بكل ما هو متوفر من قوة. لقد بذل أعداؤنا ـ ومنذ أمد بعيد ـ جهودا كبيرة وحثيثة في هذا المجال. وإنهم قد زادوا من جهودهم اليوم، بعد أن أخافتهم الصحوة الإسلامية. كل ما يقوله المشفقون هو أنه يجب ألا تتحول الفوارق إلى تناقضات، ولا التعددية إلى صراع.

لقد سمّى الشعب الإيراني هذا العام عام الانسجام الإسلامي . وجاءت هذه التسمية بسبب وعيه بمؤامرات الأعداء المتصاعدة لبثّ الخلاف بين الإخوة والأشقاء. هذه المؤامرات باتت فاعلة في كل من فلسطين ولبنان والعراق وباكستان وأفغانستان ؛ حيث شهدنا أن بعض أبناء دولة مسلمة دخلوا في حرب وصراع ضد بعضهم الآخر، ويريقون دماء بعضهم . في جميع هذه الأحداث المُرّة المأساوية، كانت علائم المؤامرة واضحة، ولم تبق يد العدو خافية من العيون الدقيقة والأبصار الحادة.

إن معنى الأمر القرآني المتمثل في «رحماء بينهم» هو اجتثاث جذور هذه الصراعات. إنكم في هذه الأيام المباركة وخلال جميع مناسك الحج، تشاهدون المسلمين ـ من كل مكان ومن مذاهب مختلفة ـ وهم يطوفون حول بيت واحد، ويصلّون باتجاه كعبة واحدة ؛ ويرجمون ـ جنبا إلى جنب بعضهم ـ رمز الشيطان الرجيم ؛ ويتصرفون بنمط واحد عند ذبح الأضاحى كرمز للتضحية بالأماني والأهواء النفسانية ؛ ويبتهلون إلى الله جنباً إلى جنب سواء في عرفات أو في المزدلفة... إن المذاهب الإسلامية متقاربة إلى بعضها بنفس الدرجة في معظم الفرائض والأحكام والعقائد الرئيسية وأهمّها. وطالما الأمر كذلك، فلماذا تأتي العصبيات والأحكام الصادرة مسبقاً لتؤجج نارالفتنة بينهم، وتأتي أيدي العدو الآثمة لتصب الزيت على هذه النار التي تقضي على الأخضر واليابس؟

اليوم، هناك من يتذرع بحجج واهية، وبدافع من الجهل وقصر النظر، ليرمي جماعة كبيرة من المسلمين بالشرك ويبيح دماءهم. إن هؤلاء يخدمون الشرك والكفر والاستكبار سواء أكان ذلك عن وعي أو من دون وعي. فكم شهدنا الذين اعتبروا احترام روضة النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ومشاهد الأولياء وأئمة الدين (عليهم السلام) شركاً وكفراً، رغم كون ذلك تعظيماً لأمر الدين والتدين ؛ لكنهم بدورهم انخرطوا في خدمة الكفرة والظالمين وساعدوهم على تحقيق أهدافهم الخبيثة.

على العلماء الحقيقيين والمثقفين الملتزمين والقادة المخلصين أن يقوموا بمكافحة هذه الظواهر الخطرة.

إن أمر الوحدة والتلاحم في الصف الإسلامي يشكل اليوم فريضة حتمية يمكن انتهاج الطرق العملية المؤدية إليها بفضل تعاون العقلاء والمشفقين.

إن هذين الركنين الذين تقوم العزة عليهما ـ أي تحديد المواقع واتخاذ الموقف القوي الحاسم أمام الاستكبار من جهة، والتراحم والتقارب والتآخي بين المسلمين من جهة أخرى ـ عندما يقترنان بالركن الثالث، وهو الخشوع والتعبد أمام الربّ جلّ وعلا، فعندئذ ستتقدم الأمّة الإسلامية مرحلة تلو الأخرى في نفس الطريق التي أدّت بمسلمي العهد الإسلامي الأول إلى ذروة العزّ والعظمة، وستتخلص الشعوب المسلمة من التخلف المُزري الذي فُرض عليها خلال القرون الأخيرة. لقد بدأت تباشير هذه الحركة العظيمة في الظهور، وتحركت تيارات الصحوة بشكل أو بآخر في كل أرجاء العالم الإسلامي. وتحاول وسائل إعلام العدو وعملاؤه الإيحاء بأن أي حركة تحررية أو مطالبة بالعدالة في أي بقعة من العالم الإسلامي مرتبطة بإيران أو بالتشيع ؛ كما يحاولون أن يحمّلوا إيران الإسلامية الرائدة في حمل راية الصحوة الإسلامية بنجاح، مسؤولية الضربات التي يتلقونها في الساحة السياسية أو الثقافية من قبل غيارى الأقطار الإسلامية. إنهم يوجهون تهماً من قبيل الانتماء لإيران أو التشيع إلى الملحمة البطولية التي سطرها حزب الله بما ينقطع نظيره خلال حرب الـ33 يوماً ؛ وإلى صمود الشعب العراقي المصحوب بالتدبير والحكمة والذي أدى إلى تشكيل مجلس وحكومة لم يكن المحتلون يريدونهما بهذه الشاكلة ؛ وإلى ما أبدته الحكومة الشرعية في فلسطين والشعب الفلسطيني المضحّي من صبر وصمود يبعثان على الإعجاب ؛ وإلى كثير من الحالات التي تمثل إرهاصات تجديد حياة الإسلام في الدول الإسلامية. إنهم يوجهون هذه الاتهامات لإرباك العالم الإسلامي ومنعه من اتخاذ موقف مؤازر موحّد. إلا أن هذا الخداع لن ينجح في مواجهة السنة الإلهية القاضية بانتصار المجاهدين في سبيل الله وأنصار دينه.

إن المستقبل للأمّة الإسلامية، وإن كل واحد منا ـ حسب مقدراته وطاقاته ومسؤوليته ـ يستطيع بدوره أن يساهم في تقريب أجل هذا المستقبل.

إن مناسك الحج، بالنسبة لكم أيها الحجاج السعداء، يمثل فرصة كبيرة لتستعدّوا أكثر من ذي قبل لأداء هذا الدين.

آملاً أن يحالفكم التوفيق الإلهي وتشملكم دعوات سيدنا المهدي الموعود (عجل الله له الفرج) في تحقيق هذا الهدف العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الحسيني الخامنئي

4 ذي الحجة لعام 1428 للهجرة

---

1. سورة البقرة، الآية 271
2. سورة الفتح، الآية 29

نداء ولي أمر المسلمين إلى حجاج بيت الله الحرام، 1427 هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وصحبه الصادقين
لقد حلّ موسم الحج، كما في كل عام، حاملاً معه البشائر المعنوية، ليضع فرصة ثمينة أمام العالم الإسلامي ؛ ورغم أن القلوب المتلهفة تطير شوقاً إلى تلك الجهة من كل مكان، إلا أن المحظوظين الذين يتسنى لهم نيل هذه الأمنية لا يشكلون إلا غيضاً من فيض. وهذا بدوره يشكل مصدر هذا التواصل الخالد لهذا النبع المتدفق باستمرار.
إن اللقاء الذي يتكرر سنوياً بين الإخوة في بيت الحبيب، يُعيد ربط القلوب بقبلة الكون من جهة، وبالأحبّة الذين يعيشون منفصلين عن البعض من جهة أخرى ؛ ليبعث النشاط والحيوية في جسد الأمة الإسلامية من الناحيتين الروحية والسياسية.
إنه لزاد ثمين للإنسان أن يتحرر مطلقاً في كل مكان وعمل من الأدران المادية، ويرى الله ولو لأيام معدودات. وإن جميع مناسك الحج وآدابه إنما هي من أجل أن يعيش الحاجّ هذه التجربة الروحية، وأن يحسّ بهذه اللذة في أعماق نفسه.
أما من الزاوية السياسية، فإن المحور الرئيس في الحج، هو استعراض الهوية الموحّدة للأمة الإسلامية. إن التباعد بين الإخوة يفسح المجال لمن يتربص بهم من الحاقدين وينمّي بذور التفرق بين المسلمين.
إن الأمة الإسلامية تتكون من شعوب وأعراق وأتباع مذاهب عديدة. وإن هذا التنوع المصحوب بالتوزّع الجغرافي في منطقة حساسة ومهمة من وجه المعمورة، من شأنه أن يشكل ـ بدوره ـ مصدر قوة لهذا الجسد العملاق ؛ و أن يزيد من فاعلية تراث الأمة وثقافتها وتاريخها المشترك على نطاق واسع ؛ وأن يجنّد أنواع المواهب والطاقات الإنسانية والطبيعية في خدمتها.
وقد استهدف الاستعمار الغربي هذه النقطة ذاتها منذ دخوله البلدان الإسلامية وظل يعمل باستمرار على إثارة ما يبعث على الفرقة والشقاق.
إن الساسة المستعمرين كانوا يعلمون جيداً أنه مع تبلور الهوية الموحدة للعالم الإسلامي، سينسدّ الطريق أمام هيمنتهم السياسية والاقتصادية. فدأبوا على العمل في نطاق شامل وبشكل طويل الأمد لتصعيد الخلافات بين المسلمين. وتحت مظلة هذه السياسة الخبيثة، استغلوا غفلة جماهير الأمة والنفسية المتخاذلة للقادة السياسيين والثقافيين، فنجحوا في مسعاهم الرامي إلى فرض السيطرة على البلدان الإسلامية.
إن عملية قمع الحركات التحررية في البلدان الإسلامية خلال القرن الماضِي ، ونجاح المستعمرين في فرض سيطرتهم على هذه البلدان وخلق/ أو دعم/ الحكومات المستبدة فيها، ونهب الموارد الطبيعية وتدمير الطاقات البشرية، مما أدى إلى إبقاء الشعوب المسلمة متخلفة عن ركب العلم والتقنية ؛ كل ذلك حصل في ظل حالة التفرق والتباعد التي كانت تبلغ أحياناً مرحلة العداء والصراع والتقاتل بين الإخوة.
ومع بداية الصحوة الإسلامية التي شكل قيام الجمهورية الإسلامية في إيران ذروتها، أصبح معسكر الاستعمار الغربي أمام تهديد كبير. إن فشل المدارس السياسية الشرقية منها والغربية، وانكشاف عدم مصداقية القيم التي كان المستعمرون يقدمونها باعتبارها السبيل الوحيد لسعادة البشرية، وانهيار هذه القيم ؛ قد أدى إلى تأصل الوعي الإسلامي بين الجماهير المسلمة. كما أن حالات الفشل المتلاحقة التي مني بها المستكبرون في مسعاهم للتغطية على هذه الشعلة الإلهية وإطفائها ؛ قد نمت شجرة الأمل في نفوس الشعوب المسلمة.
إن إلقاء نظرة على فلسطين اليوم التي وصلت فيها إلى السلطة حكومة ملتزمة بمبدأ «التحرر من الاحتلال الصهيوني» كمبدأ لا يمكن المساس به، والمقارنة بين هذه الحالة وبين ما كان الشعب الفلسطيني يعاني منه في الفترة الماضية من غربة وعزلة و عجز وضعف ؛ ومن فلسطين إلى لبنان، حيث تمكن المسلمون المتفانون هناك من إلحاق الهزيمة بالجيش الإسرائيلي المدجج بكامل السلاح رغم كل المساعدات التي كانت تتدفق عليه من قبل أمريكا والغرب والمنافقين ؛ والمقارنة بين ذلك وبين لبنان الذي كان الصهاينة قد اعتادوا أن يتوغلوا فيه متى شاؤوا إلى أي عمق من أعماق أراضيه دون أن يجدوا أي مانع أمامهم ؛ وإلى العراق الذي مرَغ شعبه الغيور أنف أمريكا المتغطرسة في التراب وورّط في مستنقع من المشاكل السياسية والعسكرية والاقتصادية ذلك الجيش والساسة الذين كانوا يتشدقون ـ بنبرة الغرور والاستعلاء ـ بتملكهم للعراق ؛ والمقارنة بين هذا وبين العراق الذي كان حاكمه السفاح قد حبس أنفاس الناس في الصدور محتمياً بأمريكا ؛ وإلى أفغانستان التي تبين أن جميع الوعود الأمريكية والغربية فيها كانت كذباً وخداعاً، وأن الغزو الذي تعرض له هذا البلد من قبل جبهة التحالف الغربي وبشكل قلما يوجد له نظير، لم يؤدّ إلا إلى الخراب والدمار للبلد وإلى الفقر والمجازر للمواطنين بالإضافة إلى تنامٍ مطّرد لمافيا المخدرات.

وأخيرا، إلى شريحة الشباب في البلدان الإسلامية وإلى الجيل الصاعد، الآخذ في النمو، الذي أصبح ينمو ويترعرع مقبلاً على القيم الإسلامية وهو يحمل بغضاً يتزايد يوماً بعد يوم تجاه أمريكا والغرب ؛ نعم، إن إلقاء نظرة على كل ذلك يبين صورة حقيقية لما للمستكبرين الغربيين وعلى رأسهم أمريكا، من حظّ عاثر وسياسات فاشلة، كما أنه يبشر بتبلور هوية إسلامية موحدة.

إن الإدارة الأمريكية والرأسمالية الغربية والنشطاء المفسدين من الصهاينة كلهم أصبحوا يشعرون بحقيقة الواقع المتمثل في الصحوة الإسلامية. وإنهم يستعينون بكل طاقاتهم المتاحة، لممارسة أنواع الألاعيب والأساليب السياسية، معترفين بعدم فاعلية الأسلحة والقوة العسكرية أمام هذه الحقيقة.

اليوم هو يوم يجب فيه على الأمة الإسلاميـة ـ بنخبها السياسية والثقافية والدينية، وبجماهيرها الشعبية ـ أن تكون يقظة أكثر من أي وقت مضى، وأن تعرف مكائد العدو وتتصدى لها.

إن تأجيج نار الخلاف والشقاق، هو من أكثر المكائد فاعليةً. إنهم ينفقون الأموال ويبذلون جهوداً مرتبكة حثيثة، لإلهاء المسلمين بالخلافات التي تنشب فيما بينهم، ويستغلون مرة أخرى حالات الغفلة وسوء الفهم والتعصب لتحريضنا ضدِ بعضنا.

إن كل حركة تؤدي إلى الفرقة والخلاف في العالم الإسلامي، تعدِ ذنباً تأريخياً. فإن أولئك الذين يكفرون بكل عناد جماعات كبيرة من المسلمين بحجج واهية، والذين يسيئون إلى مقدسات فرق من المسلمين على أساس ظنون باطلة، والذين يطعنون من الخلف الشبان اللبنانيين المتفانين الذين رفعوا رأس الأمة الإسلامية عزاً وفخراً، والذين باتوا يتحدثون عن خطر وهمي يسمى الهلال الشيعي استرضاء لأمريكا والصهاينة، والذين يصعدون موجة الإضطرابات وانعدام الأمن والتقاتل بين الأشقاء في العراق وذلك سعياً منهم لإفشال الحكومة المسلمة المنبثقة من الشعب في هذا البلد، والذين يمارسون الضغوط من كل جهة على حكومة حماس المنتخبة من قبل الشعب الفلسطيني والمحبوبة لديه ؛ كـل أولئك يـُعتبـرون مجرميـن ـ سواء أعلموا ذلك أم لا ـ حيث سيذكرهم التاريخ الإسلامي والأجيال القادمة بمشاعر الكراهية والاستياء بصفتهم عملاء للعدو الغادر.

وليعلم المسلمون في كل أرجاء العالم أن عهد تخلف العالم الإسلامي والازدراء به قد ولـّى، وأن عهداً جديداً قد بدأ.

فبفعل الغربيين أنفسهم وبسبب طغيانهم وتطرفهم وغرورهم، زال من عقلية الجماهير المسلمة ذلك الوهم الباطل المبني على أن البلدان الإسلامية مكتوب عليها أن تبقى للأبد أسيرة براثن القدرة الثقافية والسياسية الغربية، وأنها يجب أن تقلد الغربيين في التفكير والسلوك الفردي والجماعي.

وبسبب أنواع الظلم السافر والسلوك البعيد عن المنطق والتوجه الإستكباري والغرور الفائق، تحول الغرب إلى قيمة مضادة في العالم الإسلامي، خاصة بعد خضوعه للزعامة الأمريكية. فهناك تعامل الغربيين مع الشعب الفلسطيني ويقابل ذلك تعاملهم مع الحكومة الصهيونية السفاحة ؛ وهناك موقفهم من اعتراف الكيان الصهيوني باقتنائه السلاح الذري، ويقابله موقفهم من استخدام إيران السلمي للطاقة النووية ؛ وهناك موقفهم الداعم للهجمة العسكرية على لبنان ودعمهم الطرف المهاجم سياسياً وعسكرياً، ويقابل ذلك موقفهم المعارض للمدافعين اللبنانيين المتفانين ؛ هناك ابتزازهم المستمر للدول العربية، ويقابل ذلك خضوعهم الدائم لابتزاز الكيان الصهيوني ؛ هناك تأييدهم لمن يسيء إلى المقدسات الإسلامية بل وتوجيه الإفتراء والإساءة إلى هذا الدين الإلهي بكل صراحة من قبل كبار الشخصيات الغربية من أمثال البابا، ويقابله تجريمهم القيام بأي بحوث أو إثارة أي شكوك حول الهولوكوست والكيان الصهيوني ؛ هناك غزوهم العسكري للعراق وأفغانستان وقيامهم بالقتل والتدمير باسم الديمقراطية، ويقابل ذلك تآمرهم ضد الحكومات المنتخبة ديمقراطياً في فلسطين والعراق وأمريكا اللاتينية وفي أي مكان آخر لاتصل فيه العناصر الأمريكية والصهيونية إلى سدة الحكم والسلطة ؛ هناك ضجة يثيرونها حول مكافحة الإرهاب، ويقابلها قيامهم بالحوار السري مع الإرهابيين السفاكين في العراق وحتى تقديم العون لهم وما إلى ذلك من مفارقات أخرى.

إن هذه التصرفات اللامعقولة والحاقدة أتمت الحجة لدى الشعوب المسلمة وساعدت على تنامي الصحوة الإسلامية. لقد بدأت اليوم حركة عميقة ومتجذرة في العالم الإسلامي ـ شاؤوا ذلك أم أبوا ـ وهذه الحركة هي التي ستنتهي إلى استقلال الأمة الإسلامية وعودة عزها وحياتها المتجددة عندما يحين وقت ذلك.

إن هذه المرحلة هي مفصل تاريخي مصيري. وإن النخب والعلماء والمثقفين، يتحملون مسؤولية جسيمة في هذه المرحلة. إن أي فتور أو تهاون أو موقف مشوب بالغرض والقصور من قبلهم، من شأنه أن يؤدي إلى كارثة. فعلى علماء الدين ألا يقفوا صامتين أمام المحاولات الرامية إلى بث الخلاف المذهبي ؛ وعلى المثقفين ألا يتوانوا في بث روح الأمل بين الشباب ؛ وعلى الساسة والقادة أن يعملوا على إبقاء شعوبهم في الساحة، وأن يعتمدوا عليها. وعلى الدول الإسلامية أن تعزز التضامن فيما بينها لتتمتع بهذه القوة الحقيقية أمام تهديد قوى الهيمنة.

إن أجهزة التجسس الأمريكية والبريطانية قد عكفت اليوم على بث فيروس الخلافات الطائفية في العراق وفي لبنان وفي بعض دول شمال أفريقيا وفي أي مكان آخر تقدر عليه. فلابد لاجتماعنا في الحج أن يحصننا ضد هذا الداء المهلك، وأن يجعل نصب أعيننا دوماً الآية الكريمة: « وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (1) ».

إن البراءة من المشركين تشكل اليوم نداء القلب والفطرة لجميع الشعوب المسلمة. وإن موسم الحج هو الموقع الوحيد الذي يمكن لهذا النداء أن يدوي فيه بكل قوة من قبل هذه الشعوب كافة.

إغتنموا هذه الفرصة، واغتسلوا أينما كنتم في هذا المحيط العظيم، مبتهلين إلى الله بالدعاء للأمة الإسلامية ولتعجيل ظهور المهدي الموعود (سلام الله عليه وعجل الله تعالى فرجه) .

أسأل الله لكم جميعا التوفيق والسعادة والحج المقبول.

السيد علي الخامنـئي

الثـالـث مـن ذي الحجة لعام 1427 هـ. ق

1- سورة الأنفال، الآية 46

نــداء ولـى أمر الـمسلمين إلـي حجاج بيت الله الحرام 1426 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم
قال الله تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُم فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُم آبَاءَكُم أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) البقرة – 200
الإخوة المسلمون والأخوات المسلمات،
ان أيام الحج هي أيام الأمل والبشرى، حيث يبعث جلال التضامن بين قاصدي بيت التوحيد الأمل في القلوب من جهة، ويبشر انتعاش النفوس ببركة ذكر الله بانفتاح ابواب الرحمة من جهة أخرى.
وبعد أن يؤدّي الحجّاج مناسكهم المليء بالرموز والاسرار والمترعة فى نفسها بالذكر والخشوع، يدعون مرة أخرى إلى ذكر الله.
وهذا التأكيد انما يتم على أساس أن ذكر الله ينير القلوب الكئيبة ويبعث فيها نورالايمان والأمل، وعندما يكون القلب آملاً مؤمناً فإنه يمكن الإنسان من الطيّ السليم للمنعطفات الحياتيّة الخطيرة الوعرة والوصول إلى قمم الكمال الماديّ والمعنويّ.
إنّ معنويّة الحجّ تكمن في ذكرالله الذي يسري روحاً في كل عمل من مناسك الحجّ، ويجب أن يبقى هذا النبع المبارك بعد انقضاء الحجّ متدفّقاً باستمرار وهذه الحصيلة حيّة على الدوام. إن الإنسان يقع في ميادين حياته المتنوعة فريسة غفلته. وحيثما تكون الغفلة يكون الانهيار الاخلاقيّ والإنحراف الفكريّ والهزيمة الروحيّة.
وهذه التداعيات قد تؤدي بدورها بالاضافة لاضمحلال الشخصية الفردية للانسان إلى هزيمة الشعوب وانهيار الحضارات.
إنّ الحجّ يشكل إحدى الخطط التي وضعها الإسلام لمحو الغفلة، وكأنّ بَعده العالمي يعلن حقيقة أن الامة الإسلامية مكلفة في شخصيتها العامة – بالاضافة إلى الواجب الفردي لكلّ مسلم – بالعمل على محو الغفلة من وجودها.
إنّ عباداتِ الحجّ ِ ومناسكه تمنحنا فرصة الخلاص ولو مؤقتاً من الاسر والتبعيّة الرّعناء للّذة والهوى والبطر، ويملأ الإحرام والطواف والصلاة والسعي والوقوف وجودنا بذكر الله والقرب إلى ساحته، وغمر النفوس بلذّة الانس بالله.
ويعرّفنا جلال هذا التجمع الفريد وعظمته على واقع الامة الإسلامية العظيمة التي تتعالى على فوارق الشعوب والقوميات والالوان واللغات.
فهذا الحشد المتراصّ المتناغم، وهذه الالسن كلّها تترنّم بحديث واحد، وهذه الابدان والقلوب التى تتجّه إلى قبلة واحدة، وهؤلاء الافراد الذين يمثلون عشرات الاقطار والشعوب، هؤلاء جميعاً يرتبطون بكيان واحد ومجموعة عظيمة هى الأمة الإسلامية.
والواقع أن الامة الإسلامية مرّت بفترة طويلة وهي في غفلة عن ذاتها.
فكانت الحصيلة المرّة لتلك الغفلة ما نلحظه اليوم من التخلف العلمي والعملي والخواء في ميادين السياسة والصناعة والاقتصاد. والإن – وازاء ما نشهده من تطوّر باهر حدث أويحدث في العالم – فإنّ على الامّة الإسلاميّة أن تبادر إلى التعويض عن أنماط غفلتها الماضية، وهذا ما نشهد– لحسن الحظ – بعض بوادره في عصرنا الحاضر ممايبشر بانطلاق حركة التعويض هذه.
وي جب أن لانشكّ مطلقاً في أنّ عالم الاستكبار يرى في الصحوة الإسلاميّة واتّحاد المسلمين وتقدّم شعوبهم في ميادين العلم والسياسة والابداع أكبر عقبة بوجه سلطته وهمينته على العالم، ولذا فهو يعمل على مكافحته وإيقافه بكل مالديه من قوّة.
وها هي تجربة عصري الاستعمار والاستعمار الحداثيّ ماثلة امام الشعوب الإسلاميّة وهي تواجه اليوم استعمار ما بعد الحداثة فيجب ان تستفيد من تلك التجربة فتمنع العدو من تكرار تسلطة الممتدّ – من جديد – على مقدّراتها ومصيرها.
لقد استخدمت القوى الغربية المهيمنة فى تلك العصور الكالحة المرّة كلّ الوسائل الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة لاضعاف الاقطار والشعوب الإسلامية وفارضة عليها التفرقة والفقر والجهل، وقد ساهم في تحقق ذلك الضعف النفسى وغفلة الكثير من رجالات السياسة وعدم تحمّل الكثير من النخب الفكريّة لمسؤوليّاتهم، ممّا أدّى إلى نهب ثرواتنا والاستخفاف بنا، بل وإنكار هويتّنا والقضاء على استقلالنا، وعدنا نحن الشعوب الإسلامية نضعف يوماً بعد يوم، وراح الغزاة الناهبون الطامعون المتسلطون يزدادون قوّة بإطّراد.
واليوم – وببركة تضحيات المناضلين وشجاعة القادة في بعض المناطق من العالم الإسلامي وإخلاصهم، حيث اتسعت أمواج الصّحوة الإسلامية فدفعت بالشبّاب والنّخب وأفراد الشعب في كثير من الاقطار الإسلاميّة إلى الساحة، وافتضحت الصورة الغادرة للمتسلّطين لدى كثير من السياسيين والقادة المسلمين – راح أساطين الاستكبار – من جديد – يستخدمون أساليب ماكرة جديدة لاستدامة سيطرتهم على العالم الإسلامي وتقويتها.
وشعار نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان هو احد هذه الاساليب الخدّاعة، فهاهو الشيطان الاكبر – وهوالذي يجسّد الشر والعنف ضد البشريّة– يرفع لواء الدفاع عن حقوق الإنسان، ويدعوشعوب الشرق الأوسط إلى الديمقراطيّة.

اِلا أنّ الديمقراطيّة التى تسعى أمريكا لتحقيقها في هذه الاقطار تعني أن تفرز الانتخابات - الشعبية في ظاهرها والامريكية في الواقع، بمعونة التأمر والرشوة والدعاية الانتخابية المغرية الخادعة - عملاء طيّعين مطيعين لامريكا يحققون لها اهدافها الاستكبارية، وفي طليعتها إيقاف المد الإسلامي وإقصاء القيم الإسلامية عن الساحة تارة أخرى.

إن كل الوسائل الاعلامية والسياسية لامريكا وغيرها من المتسلطين قد عبّئت اليوم لكى تعرقل نهضة الصحوة الإسلامية أوتقمعها إن استطاعت. فعلى الشعوب الإسلامية أن تعي الموقف اليوم وتراقبه بحذر، كما أنّ على العلماءِ والمرجعياتِ الدينية والمثقفين والجامعيين والكتاب والشعراء والفنّانين والشّباب والنخب، عليهم أن يتخذوا بكلّ وعيٍ المبادرة المناسبة ليحولوا دون أن تبدأ امريكا الجشعة مرحلة جديدة من هيمنتها الاستعمارية على العالم الإسلامي.

ان رفع شعار الديمقراطية من قبل الطامعين الذين دعموا لسنين طوال الانظمة الدكتاتوريّة في آسيا وأفريقيا والقارة الامريكية أمر مرفوض بلاريب، كما أنّ ادعاء مكافحة العنف والارهاب من قبل من يدعمون الارهاب الصهيونى ويرتكبون أكثر أنواع العنف دمويّة في العراق وأفغانستانانّما هو ادعاءٌ يثير السخرية ولذلك فإنّ طرح شعار الدفاع عن الحقوق المدنية من قبل الشياطين الذين شجعّوا باستمرار جرائم إرهابي دموي كشارون بحق الشعب الفلسطيني المظلوم إنّما هو أسلوب ماكر يستوجب اللعن والنفور.

اِنّ اولئك الذين ارتكبوا جرائم غوانتانامو وابوغريب والمعتقلات السرّية فى اوربا، والذين احتقروا الشعبين العراقي والفلسطيني، وشكلوا المجموعات التى تستبيح دم المسلمين باسم الإسلام في العراق وافغانستان، اولئك لايحقّ لهم أن يتحدثوا عن حقوق الإنسان.

اِنّ الادارتين الامريكية والبريطانية اللتين تبيحان تعذيب المتهمين بل وسفك دمائهم في الشوارع، والتنصت على المكالمات الهاتفيّة للمواطنين دون اذن من القضاء ليس لهما الحقّ في ادعاء الدفاع عن الحقوق المدنيّة، وإنّ الحكومات التي سودّت وجه التاريخ المعاصر من خلال إنتاجها واستخدامها للسلاح الذري والكيمياوي ليس لها الحقّ أن تفرض قيمومتها على مسألة منع انتشار التقنيّة النوويّة.

الإخوة المسلمون والأخوات المسلمات،

يمرّ العالم وخاصة العالم الإسلاميّ اليوم بفترة حساسة، فمن جهة يشمل مدّ الصحوة الإسلامية كلّ العالم الإسلامي، ومن جهة أخرى تبدو بوضوح الصورة الماكرة لامريكا وباقي المستكبرين من خلف ستار التزوير والرياء، ومن جهة ثالثة يبدأ التحرك باتجاه استعادة الهويّة والقوّة في اجزاء من العالم الإسلامى، حيث نجد في بلد له عظمته كايران المسلمة تتفتح براعم العلم والتقنية الذاتيّة المستقلة، وتترك الثقة بالنفس أثرها على ترشيد الأجواء السياسية والإجتماعية فتمتدّ آثارها إلى ميادين العلم والاعمار. ومن جهة أخرى يسري الضعف والانحطاط في الهياكل السياسية والعسكرية للأعداء.

إنّ العراق اليوم من جانب، وفلسطين ولبنان من جانب آخر يجسّدان ضعف القوّة الامريكية والصهيونية وعجزها، رغم ادّعاءاتها الكبرى، وإن السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط واجهت في خطواتها الأولى عقبات كأداء واخفاقات تحوّلت إلى سلاح مضاد بيد المعارضين لها. إنّ الوضع الحالي يشكل فرصة للشعوب والحكومات المسلمة كي تمسك بزمام المبادرة وتقوم بعمل عظيم.

إنّ مساعدة الشعب الفلسطيني المظلوم، ودعم الشعب العراقي الواعي، وصيانة استقلال لبنان وسوريا وسائر دول المنطقة واستقرارها، يشكل كلٌّ ذلك واجباً اسلاميّاً عامّاً في حين تفوق مسؤوليّة النخب السياسيّة والدينيّة والثقافيّة والشخصيات الوطنية والشباب والجامعيين مسؤوليّة الآخرين.

وإنّ وحدة اتباع المذاهب الإسلامية وتآلف قلوبهم ونبذ الخلافات الطائفيّة والقوميّة، يجب إن يشكل أبرز شعارات هذه النخب، كما أن التحرّك العلميّ والسياسي والجهد الثقافيّ وتعبئة كل الطاقات في هذه الطلائع لابّد أن يكون من اولويات خطابها المعلن.

إنّ العالم الإسلامي لكي يحقق حاكمية الشعب وحقوق الإنسان لايحتاج وصفة خاطئة نقضها الغرب بنفسه باستمرار.

فحاكمية الشعب إنّما تستمد بكلّ وضوح من التعاليم الإسلامية كما إنّ حقوق الإنسان هي من أوضح الامور التي أكد عليها الإسلام.

نعم، يجب أن نستمدّ العلم ممّن يملكه أينما وأيّا كان إلاّ أنَّ على العالم الإسلامي أن يسعى للتخلص من حالة التتلمذ الدائم لدى الإخرين وأن يعتمد على طاقاته الذاتية متجهاً نحوالابداع والتحديث والانتاج العلمي.

ثمّ إنّ القيم الغربيّة التي جرّت الغرب إلى الانحطاط الاخلاقي وأشاعت التحلل والعنف واستباحت الشذوذ الجنسي والرذائل الأخرى من هذا القبيل لاتصلح للتقليد، في حين يشكل الإسلام بقيمه السامية أروع مصدر للفلاح الإنساني، فعلى النخب في كلّ الشعوب مسؤوليّة مؤكدة لوعي هذه القيم ونشرها.

إنّ الارهاب الوحشي الاعمى الذى يتخذ منه المحتلّون ذريعة للهجوم على الإسلام والمسلمين واستمرار غزوهم العسكريّ أمر

ترفضه التعاليم الإسلامية وتدينه، وإنّ اوّل المتهمين في هذه الحوادث الاجرامية هم العسكريون الامريكيون وأجهزة المخابرات الامريكية والصهيونية التي يشكل سعيها للتأثير على عملية تشكيل الحكومة في العراق أقرب أهدافها.

الإخوة المسلمون والأخوات المسلمات،

إنّ التوكل على الله تعالى، والإتكال على الوعود القرآنيّة الحتميّة، وتوثيق عرى الوحدة الإسلاميّة، وأداء فريضة الحج بكلّ ما فيها من عطاء وغني مستمدّ من ذكر الله، واجتماع المسلمين القوىّ المتراصّ في المناسك، كلّ ذلك يمكنه أن يشكل ضماناً لتحقيق كلّ الاهداف السامية للامّة الإسلاميّة، ونقطة بدء وانطلاق لهذه النهضة الشاملة، لتكون البراءة قولاً وعملاً من قادة الكفر والإستكبار في هذه الفريضة نموذجاً عملياً، وخطوة أولى على هذا الطريق.

وختاماً اسأل الله تعالى للحجاج الكرام التوفيق وللمسلمين شمولهم في دعوات الإمام المهدي روحي له الفداء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الحسيني الخامنئي

8 ذي الحجة 1426

بيان القائد إلى الشعب الإيراني بمناسبة حلول العام الهجري الشمسي الجديد عام 1386

بسم الله الرحمن الرحيم
(يا مقلب القلوب والأبصار، يا مدبّر الليل والنهار، يا محول الحول والأحوال، حوّل حالنا إلى أحسن الحال)

اللهم صلّ على علي بن موسى الرضا المرتضى الإمام التقي النقي.
أبارك حلول أيام النوروز ومستهل السنة الشمسية الجديدة لجميع أبناء وطننا الأعزاء، وجميع الإيرانيين في كافة أنحاء العالم وحيثما كانوا، وكذلك كافة الشعوب التي تحتفي بهذه الأيام، كما أقدّم مباركة خاصة بهذه المناسبة لأسر الشهداء الأعزاء، وجميع المضحين وأسرهم، وكافة الناشطين في خدمة الشعب.
إنّ أيام النوروز بداية إيناع الطبيعة وانتعاش الأرض، وتجدد فضاء الإنسان وحياته الطبيعية، وما أروع أن يقترن هذا الإيناع، بصقل الإنسان لروحه وقلبه بذكر الله والاستعانة به، وزرع بذور الخير وطلب العافية والصلاح لجميع الأخوة والأخوات وكافة الناس.
يحتوي النوروز على الكثير من التقاليد الجميلة، فمضافاً إلى أنّ جميع الإيرانيين أينما كانوا يبدأون هذه اللحظة من تحويل السنة باسم الله سبحانه، وهم يسألونه تعالى أن يوجد تحوّلاً جذرياً في حياتهم، تُعدّ سُنّة التزاور وصلة الأرحام وتوثيق الروابط والعلاقات الحميمة بين أفراد المجتمع، من أروع وأجمل التقاليد الموجودة في أيام النوروز.
ولو قارنّا ذلك ببعض الاحتفالات الوطنية للشعوب الأخرى ـ التي تقترن بأمور منافية للأخلاق والعقة والتي لا تمتّ بصلة لهذه العلاقات الإنسانية ـ ندرك أنّ احتفالنا الوطني هذا وبداية عامنا الجديد، مضافاً إلى اقترانه بربيع الطبيعة يحتوي أيضاً على خصوصيات أصيلة مفعمة بالرحمة والعاطفة.
إنّ إدخال السرور على القلوب والابتسامة والتبريك والترحيب بالآخرين وترسيخ الأواصر الإنسانية، وتجديد بيئة الحياة من التقاليد الحسنة والمحبوبة التي دأب الإيرانيون منذ القدم وحتى هذه اللحظة على إحيائها. وهي بأجمعها تحظى بدعم الدين الإسلامي الحنيف وشرعه المقدس.
في نظرة إلى العام 1385، ونحن في طريقنا إلى تجاوزه، وإطلالة إلى عام 1386، الذي نعيش لحظات بدايته. كان العام 85 قد تشرّف باسم النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد كان مشحوناً منذ بدايته وحتى نهايته بذكره (ص) وقد تحشّدت الجهود في التعرّف على أبعاد شخصيته بشكل أكثر ومعرفة خصوصيات حياته، والعبر والدروس التي يمكن استخلاصها في سيرته (ص) ، وطبعاً لا يزال هناك متّسع كبير للتعرّف على النبي (ص) ، وأنّ جميع سنيّنا في الحقيقة هي سنين النبي الأعظم (ص) .
إنّ عام 85 كسائر الأعوام التي يعيشها الناس، كان مفعماً بالحوادث المتنوّعة، مرّها وحلوها، وأفراحها وأتراحها، ولكن بنظرة اجمالية يمكنني القول قاطعاً، وأزفّ البشرى للشعب الإيراني العزيز: أنّ انجازاته ونجاحاته كانت أكثر من الإخفاقات، وأنّ التقدم الذي حققناه كان أكثر من التوقف والسكون، وأن الحوادث السارّة كانت أكثر من الحوادث المرّة.
وقد لوحظت على الصعيد الداخلي جهود حثيثة لتطوير البلاد، وكانت قرارات المسؤولين صائبة، وأنّ النشاط في هذا المجال كان جيداً ومقبولاً، وسأوضح ذلك لشعبنا العزيز بتفصيل أكثر في خطابي إن شاء الله تعالى.
وعلى صعيد السياسة العالمية كان تقدم نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ملحوظاً أيضاً، فقد غدا شعبنا مرفوع الرأس، وغدت بلادنا شامخة ببركة نظام الجمهورية الإسلامية.
وقد اتضحت رفعتنا الوطنية والنظرة العطوفة التي يحملها أبناء شعبنا لأمم العالم والشعوب الإسلامية في كافة الحوادث، كما اتضح عزمنا الوطني الثابت في المجالات العلمية، والنشاط الاقتصادي إلى مستويات كبيرة، فكان نجاحنا على الصعيدي الداخلي والخارجي كبيراً والحمد لله.
وفي عام 86 يجب مواصلة حركتنا الوطنية بما يتناسب وحاجة شعبنا.
هناك حقيقة، وهي أن الشعب الإيراني بفعل سيطرة القوى الطاغوتية والفاسدة أو الحكومات العميلة أو غير الكفوءة، قد عانى لعقود طويلة ـ وربما قرابة قرنين ـ من تخلف كبير على مختلف المجالات، وحالياً حيث بلغ الشعب الإيراني ببركة الإسلام ونظام الجمهورية الإسلامية مستوىً عالياً في الوعي والثقة بالنفس، علينا تقليص هذه المسافة الطويلة، فهناك شرخ واسع يفصلنا عما يتناسب وشأن إيران الرفيع والشامخ، ولا يمكن ردم هذا الشرخ إلا بتظافر الهمم والجهود الوطنية.

إنّ هدف شعبنا واضح، فهدفنا الوطني الكبير هو (الاستقلال والعزة الوطنية والرفاه لعموم الشعب) وهي أهداف سهلة المنال ببركة الإسلام والإيمان الإسلامي، وقد ثبت لنا ذلك بالتجربة، فإن شعبنا يتمتع بإرادة كبيرة لتجاوز الصعاب نحو الآفاق المستقبلية الأوسع والأرحب، وإذا تمّ توظيف هذه الإرادة على نحو كامل وشامل، فسوف يحصل الشعب الإيراني من دون شك على جميع مطالبه وأهدافه.

لقد بدأت حركة الشعب الإيراني بفضل الإسلام، وقد كان هذا الوعي والأمل والثقة بالنفس في تزايدٍ إلى يومنا هذا، وعلينا في كل عام جديد أن نجدد من عزمنا, وأن نفتح لأنفسنا آفاقاً جديدة، لاغروَ أنّ الشعب الحي يواجه العقبات، فالعقبات من لوازم الحياة، وعلى كل حيٍّ أن يدفع ضريبة حياته ليصل إلى غاياته.

فلابد من تجاوز العقبات، وأحياناً تكون هناك عداوات، فعلينا أن نمتلك تدبيراً ومنهجاً ثابتاً حيال هذه العداوات، ولابد من التمسك بالعزم المتين في هذا المجال.

إنّ الشعب الإيراني بحاجة إلى العزم الوطني، وقد أثبت حتى الآن تمتعه بهذا العزم، ويجب ترسيخ قواعد هذا العزم وأسسه بشكل متواصل.

من خلال نظرة إلى الأحداث العالمية ندرك بوضوح أنّ أعداء الشعب الإيراني يحاولون توظيف عداوتهم في اتجاهين ؛ الأول: بثّ الفرقة في صفوف الشعب الإيراني وتمزيق وحدته، واختطاف مصدر قوّته، وإشغاله بالخلافات الداخلية.

الثاني: خلق المشاكل الاقتصادية، والسعي إلى كبح الشعب الإيراني في مختلف مجالات إعمار البلاد والرفاه العام، وقد دخل هذان الأسلوبان في حسابات أعدائنا على الأمد القصير والمتوسط، ويمكن الحدس بهذين الأسلوبين حتى مع عدم التصريح بهما، ومع ذلك فإن أعداءنا قد اعترفوا بذلك.

في عام 86، يجب أيضاً تظافر كافة القوى الوطنية والقوى المؤمنة بأهداف الشعب الإيراني السامية في المجالات الاقتصادية، وعلى المسؤولين والشباب الناشط توحيد جهودهم في هذا المجال.

إنّ ساحة العمل الاقتصادي واسعة، خصوصاً بعد الإعلان عن سياسة الأصل الرابع والأربعين من الدستور، وما أوصينا به المسؤولين، وما أظهروه من عزم تجاه هذه القضية.

فإن الباب مفتوح على مصراعيه أمام الجميع للخوض في النشاط الاقتصادي، وعلى المسؤولين تبيين الفرص المتاحة للناس، وعلى الناس بدورهم أن يبذلوا جهودهم.

إنّ بلادنا مرتع اقتصادي خصب يؤهّلها لبناء مجتمع ينعم بالرخاء والرفاه.

المسألة الأخرى: مسألة الاتحاد الشامل، إذ يسعى الأعداء من خلال إعلامهم وحروبهم النفسية ومختلف المساعي العدوانية إلى بثّ الخلاف بين أبناء الشعب الإيراني تحت ذرائع القومية أو المذهبية أو الانتماءات الطبقية.

ومضافاً إلى ذلك هناك على مستوى العالم الإسلامي جهود كبيرة تبذل من قِبَل الأعداء لإيجاد هوّة بين الشعب الإيراني وسائر المجتمعات الإسلامية الأخرى، وذلك من خلال تضخيم الخلافات المذهبية، وإذكاء الحروب بين الشيعة والسنة في أي رقعة ممكنة من العالم، والقضاء على شموخ الشعب الإيراني ـ الآخذ في التصاعد بحمد الله ـ لدى الشعوب الأخرى.

على شعبنا الحفاظ على يقظته. وعليه أن يواصل جهوده في بناء البلاد، والأهم من ذلك السعي إلى وحدة الكلمة والانسجام الوطني وتوحيد الأمة الإسلامية. ولابد من الحفاظ على هذه الوحدة بتعقّل وذكاء وحكمة وتدبير، وتقويتها باستمرار، وأنا شخصياً أولي أهمية خاصة لوحدة كلمة شعبنا، وأرى أنّ هذا العام هو عام (الاتحاد الوطني والانسجام الإسلامي) ، أي على المستوى الداخلي لابد من اتحاد كلمة جميع أبناء الشعب على اختلاف قومياتهم وتنوّع مذاهبهم وطبقاتهم الوطنية.

وعلى المستوى العالمي لابد من الحفاظ على انسجام جميع المسلمين، والعلاقات الأخوية بين آحاد أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف انتماءاتهم المذهبية.

إنّ عظمة الإسلام حالياً رهن باستقلال الشعوب وتمتعها بالعزم الراسخ، وإنّ الشعب الإيراني المسلم كان حتى الآن ـ وبحمد الله ـ رائداً في هذا المجال، وسيبقى كذلك.

نسأل الله تعالى المغفرة لروح إمامنا العظيم الذي فتح لنا هذا الطريق، ونسأله تعالى أن يرفع درجاته، وأتمنّى للشعب الإيراني الموفقية والنجاح في هذا المجال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في رحاب النبي الأكرم (ص)

حياة النبي الأكرم (ص)
رغم أن اليوم يصادف ذكرى ميلاد موسى بن جعفر (عليه الصلاة والسلام) وكان من المناسب أن نعبّر في الخطبة الأولى عن حبّنا ووفائنا لهذه الشخصية العظيمة، إلا أننا وجدنا أننا لم نوفِّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حقه المفروض في خطبنا وأحاديثنا وأن الوجه المنير لدرة تاج الخليقة وجوهر وحدانية عالم الوجود لم يتضح للكثيرين كما ينبغي سوى ما يخص سيرته وحياته أو خُلقه وسلوكه وسياسته، فأردت أن أعرض في خطبةٍ جوانب من شخصيته العظيمة بقدر ما يتيحه الوقت، ولاسيّما ونحن في شهر صفر، ولكنني خشيت ضياع الفرصة وعدم التمكن من التعبير عن الاخلاص اللازم نظراً لما تنطوي عليه هذه الشخصية السامية من أبعاد واسعة، فقررت أن أتحدث اليوم وفي هذه الخطبة حول حياة وملامح هذه الشخصية المقدسة.
إن نبي الإسلام المكرّم، وفضلاً عن مناقبه المعنوية وخصاله النورانية واتصاله بعالم الغيب وما يتميز به من درجات ومراتب يعجز أمثالي عن إدراكها، فإنه كبشر وكإنسان يعتبر شخصية ممتازة من الطراز الأول لاندّ لها ولا نظير.
لقد سمعتم الكثير حول أمير المؤمنين، وهذا يكفي للقول بأن أبرز شيء في شخصيته أنه كان تلميذاً وتابعاً للرسول (ص) .
إن نبينا الأكرم (ص) يتصدّر قائمة الأنبياء والأولياء بشخصيته العظيمة وحلمه اللامتناهي وخُلقه الفريد، ممّا يوجب علينا نحن المسلمين الاقتداء به امتثالاً لقوله تعالى: {لكم في رسول الله أسوة حسنة} ليس فيما نؤديه من صلوات معدودة فحسب، بل في سلوكنا أيضاً وأقوالنا وحسن عشرتنا ومعاملتنا، وهو ما يستدعي منّا حقّ المعرفة له.

مرحلة الصبا
لقد ربّى المولى سبحانه وتعالى نبيّه الأكرم (ص) وأدّبه روحيّاً وأخلاقيّاً بما يجعله قادراً على حمل تلك الأمانة الكبرى. وما علينا سوى إلقاء نظرة عامة على حياة النبي الأكرم (ص) في طفولته ؛ لقد رحل والده عن الدنيا قبل ميلاده طبقاً لإحدى الروايات، أو بعد ميلاده ببضعة أشهر طبقاً لرواية أخرى، فلم يره. وكان من تقاليد العوائل النبيلة والأصيلة في الحجاز آنذاك أن تتخيّر لأبنائها من السيدات العفيفات والأصيلات والشريفات من ترضعه وتقوم بتربيته في أوساط القبائل العربية في البادية. فكان هذا الوليد العزيز من نصيب سيدة أصيلة وشريفة من قبيلة بني سعد تسمى "حليمة السعدية"، فأخذته حيث تعيش قبيلتها، وظلت نحو ستة أعوام ترضعه وتربّيه، حتى نشأ النبي (ص) وشبّ عن الطوق في البادية. وكانت حليمة تأخذه أحياناً إلى أمّه ـ السيدة آمنة ـ لتراه، ثم ما تلبث أن تعود به إلى حيث كانت تعيش. وبعد ستة أعوام، ولما صار هذا الصبي في حالة ممتازة من النمو الجسمي والروحي، وبات قوي البنية، جميلاً، ونشيطاً، ونبيهاً، وبرزت فيه صفات الصلابة والصبر وحسن الخلق والسلوك وسعة الأفق، والتي هي من لوازم الحياة في تلك الظروف، فإن السيدة حليمة أعادته إلى أمّه وقبيلته. وعندئذ أخذته أمّه إلى يثرب لزيارة قبر أبيه عبدالله الذي مات ودفن هناك. حتى إن النبي (ص) لمّا جاء إلى المدينة المنورة بعد ذلك قال لدى مروره بذلك المكان: هاهنا قبر والدي، ومازلت أتذكر أنني كنت قد قدمت مع أمي إلى هنا، غير أن أمّه توفيت أيضاً في طريق عودتهما من يثرب في مكان يدعى "الأبواء" فغدا هذا الصبي يتيم الأب والأم. وبهذا أخذت روح الصبي في النضج والنمو يوماً بعد آخر وهو الذي سيصبح عليه أن يربّى البشرية على صفاته وخصاله الأخلاقية ويأخذ بيدها نحو التقدم في غد الأيام. وفي تلك الأثناء عادت به أم أيمن إلى مكة وسلّمته إلى جده عبد المطلب الذي ظل يسبغ عليه من عطفه ورعايته حتى إنه ليقول في شعر له ما معناه أنه له بمنزلة الأم من الولد. ولقد كان هذا الشيخ العجوز البالغ من العمر نحو مائة عام ـ والذي كان رئيساً لقريش مع ما له من شرف وعزة ـ يحنو على هذا الصبي بكل ما لديه من عطف ومحبة فشبّ سويّاً دون أن يشعر بمرارة اليتم وافتقاد حب الوالدين.
والمدهش في الأمر أن هذا الصبي شب يتيماً وتحمل متاعب فقدان الوالدين حتى تتكامل شخصيته وتنمو كفاءاته دون الشعور بأدنى قدر من النقص الذي يمكن أن يصاب به بعض الأبناء في مثل هذه الأحوال.
لقد كان عبد المطلب شديد الحب له والتقدير ممّا أثار دهشة الجميع. وتروي كتب التاريخ والحديث أن عبد المطلب كان يُبسط له فراش وتوضع له وسادة بجوار الكعبة فيجتمع حوله أبناء وشباب بني هاشم في تبجيل واحترام. وعندما كان عبد المطلب يغادر المكان أو يدخل إلى الكعبة فإن ذلك الصبي كان يجلس على الفراش متّكئاً على الوسادة. وما إن يعود عبد المطلب حتى يطلب شباب بني هاشم من الصبي فسح المجال للأب الشيخ، ولكن عبد المطلب كان يقول لهم: دعوه، فإن هذا مكانه الذي ينبغي له الجلوس فيه، فكان يجلس بجواره دون أن ينحّيه عن مجلسه وهو يوليه المزيد من العزة والشرف والتبجيل. ولكن عبد المطلب توفي هو الآخر بينما كان الصبي مازال في الثامنة من عمره. وجاء في الروايات أن عبد المطلب أخذ العهد من ابنه أبي

طالب ـ وهو من أعز أبنائه وأرفعهم درجة لديه ـ وأوصاه خيراً بالصبي قبيل وفاته، طالباً منه أن يعامله كما كان يعامله ويحميه كما كان يحميه، فقبل أبوطالب ذلك وعاد به إلى منزله وهو يحنو عليه كفلذة كبده ويرعاه بكل وجوده. وظل أبو طالب وزوجته ـ فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ـ يوليان هذه الشخصية الرفيعة الكثير من الحماية والعون كما والديه طوال نحو أربعين عاماً. وفي مثل هذه الظروف أمضى النبي الأكرم (ص) فترة صباه وشبابه.

إن كل الخصال الأخلاقية المتعالية والشخصية الإنسانية الكريمة والصبر والتحمل الشديد والاندكاك بالآلام والشدائد التي يمكن أن تلمّ بالإنسان في طفولته مهدت لتشكيل الشخصية السوية العظيمة والعميقة في هذا الطفل ؛ لقد اختار النبي (ص) أن يرعى غنم أبي طالب في عهد صباه، فكان هذا من العناصر التي كوّنت شخصيته. كما اختار هو بنفسه في تلك السن أن يرافق عمّه أبا طالب في تجارته خارج مكة، وقد تعددت أسفاره في التجارة حتى بلغ سن الشباب والزواج بالسيدة خديجة والوصول إلى سنّ الأربعين عندما نزل عليه الوحي.

أخلاق النبي الأكرم (ص)

لقد اجتمعت فيه كافة صفات الإنسان الكامل، ولسوف أتحدث عن جانب من مميزاته الأخلاقية باختصار إلا أن المرء يحتاج إلى ساعات وساعات ليدخل إلى العالم الأخلاقي الذي تفرد به الرسول (ص) . ولهذا فإنني سوف أقتصر الدقائق التالية على الحديث في هذا الموضوع بغية التعبير عن إخلاصي، وحتى أكون قد عرضت على الخطباء والكتّاب بشكل عملي ضرورة بذل المزيد من الجهود لمحاولة الإحاطة بأبعاد شخصية النبي (ص) والتي تمثل بحراً عميقاً. إن العديد من الكتب والمؤلفات تزخر بالقدر الوافر من الحديث حول أخلاق النبي الأكرمپپپ (ص) ؛ والذي سأورده هنا اقتباس من مقالة لأحد العلماء المعاصرين ـ وهو المرحوم آية الله الحاج السيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني ـ بصورة مختصرة ومفيدة.

دعونا نقسّم أخلاق النبي باختصار إلى "أخلاق شخصية" و"أخلاق حكومية"، أي أخلاقه كإنسان وأخلاقه ومميزاته وسلوكه كحاكم. وهذا بالطبع غيض من فيض، لأن شخصيته تشتمل على الكثير من المميزات البارزة والجميلة والتي ليس بوسعي الآن إلا الاقتصار على بعضها.

الأخلاق الشخصية

لقد كان النبي (ص) رجلاً أميناً وصادقاً وصبوراً وحليماً، كما كان شهماً وحامياً للمظلومين على الدوام ؛ فمن حيث الصدق كان سلوكه مع الناس قائماً على الصدق والإخلاص والوفاء. كما كان طيّب القول، وكان يتجنب الإساءة والتجريح. وكان عفيفاً ومعروفاً لدى الجميع بالعفّة والحياء والنجابة في ذلك الجوّ الأخلاقي الفاسد الذي كان يخيم على الحجاز قبل الإسلام، فلم يقترب الخبائث في مرحلة شبابه. ثم إنه كان من المتميزين بنظافة الظاهر، حيث كان نظيف الملبس والرأس والوجه، وامتاز بحسن السلوك. كما كان النبي (ص) شجاعاً لا تفتّ من عضده كثرة العدو، وكان صريحاً لا يقول إلا الصدق، وكان زاهداً وحكيماً في حياته، كما كان رؤوفاً متسامحاً كريماً يتجنب الثأر والانتقام، وكان من صفاته الرحمة والمداراة، كما كان ذا أدب جمّ لا يمدّ رجله أبداً في محضر الآخرين ولا يسخر منهم. كما كان الحياء صفته، فكان يستحي من ملامة الناس ويطأطئ رأسه خجلاً وحياءً، ومواقفه في ذلك تشرق بها صفحات التاريخ. وكان رحيماً وغايةً في التسامح والعبادة. وكانت كل هذه الخصال متجسّدة في شخصية الرسول الأكرم (ص) في شتى مراحل حياته منذ صباه وحتى وفاته في الثالثة والستين من عمره. وسأبسط الحديث في بعض هذه الخصال.

لقد كان شديد الأمانة حتى لقّبه الناس في الجاهلية بلقب "الأمين" فكانوا يودعون لديه أماناتهم المهمة وهم على ثقة بردّها إليهم دون إصابتها بسوء. لدرجة أنهم كانوا يحفظون أماناتهم عنده حتى بعد بداية الدعوة الإسلامية وتأجج نار العداء والبغضاء مع قريش، وهم أعداؤه! ولهذا فإنكم سمعتم بأن الرسول (ص) ترك أمير المؤمنين في مكة عند هجرته إلى المدينة لكي يؤدّي للناس أماناتهم. ومن المعروف أن بعض الكفار والذين ناصبوه العداء كانوا قد استأمنوه على أموالهم حينذاك مع أنهم لم يُسلموا.. !

لقد كان النبي (ص) شديد التحمل لدرجة أن الآخرين كانوا يغضبون عند سماع ذلك، وهو الذي لا تنال منه الشدائد ولا تستفزّ غضبه. وكان الأعداء يؤذونه في مكة لدرجة أن أبا طالب استشاط غضباً منهم وجرّد سيفه ذات مرة وتوجّه إليهم مع أحد مواليه وفعل بهم ما فعلوه مع رسول الله (ص) وتهدّد كلّ من يعترض سبيله بضرب عنقه، بينما كان النبي (ص) قد تحمل كل ذلك بحلم وأناة.

وذات يوم آخر وجّه إليهپأبو جهل إهانة شديدة إثر نقاش حادّ بينهما، فقابلها الرسول (ص) بالحلم والسكوت. وعندما أخبر أحدهم حمزة قائلاً بأن أبا جهل أساء إلى ابن أخيك فإنه تميّز غيظاً وقصد أبا جهل فضربه بالقوس على رأسه حتى شجّ رأسه، ثم أسلم حمزة بعد ذلك جرّاء هذا الحادث.

وأمّا بعد الإسلام فقد كان بعض المسلمين يوجّه إلى الرسول (ص) أحياناً كلمات تؤذيه غفلةً أو جهلاً فيما يخص بعض الأمور، لدرجة أن إحدى أزواجه ـ وهي زينب بنت جحش التي كانت من أمّهات المؤمنين ـ خاطبته بالقول: إنك نبي ولكنك لا تعدل! فابتسم النبي (ص) دون أن يعقب.. فقد كانت تنتظر منه أمراً في الحياة الزوجية دون أن يجيبها إليه، وهو ما يمكن أن أشير إليه فيما بعد. كما كان البعض يأتون أحياناً إلى المسجد فيمدّون أرجلهم قائلين للرسول (ص) : قلّم لنا أظفارنا! ـ حيث جاء الحث على تقليم الأظافر ـ ولكن الرسول (ص) كان يتحمل كل هذا التجاسر وسوء الأدب بحلم تام.

وأمّا نبله وشهامته فقد وصلت إلى الحد الذي يعفو فيه عن أعدائه. كما كان لا يرى مظلوماً إلا وهبّ للدفاع عنه حتى يستردّ حقّه.

ففي الجاهلية كان النبي (ص) شريكاً في حلف يُدعى "حلف الفضول" وهو غير ما كان بين أهل مكة من تحالفات أخرى كثيرة ؛ إذ جاء رجل غريب وباع تجارته في مكة لرجل منيأهلها يسمّى "عاص بن وائل" الذي كان من أشراف مكة المتغطرسين دون أن يعطيه ثمن ما اشتراه. وكلّما قصد الرجل واحداً من أهل مكة عجز عن مساعدته في أخذ حقّه. فوقف على جبل "أبي قبيس" وصاح قائلاً: يا أبناء فهر، لقد ظُلمت! فلمّا سمع الرسول (ص) هو وعمه الزبير بن عبدالمطلب استغاثة المظلوم انضمّا إلى الجمع الذي قرر نصرته والدفاع عنه كي يستعيد حقّه، فذهبوا إلى "عاص بن وائل" وطالبوه بمال الرجل، فخشي بطشهم وأعطى للرجل ماله. وظلّ هذا الحلف قائماً، إذ قرر أعضاؤه نصرة كل غريب يعتدي عليه أهل مكة ـ الذين كانوا غالباً ما يظلمون الغرباء من غير أهل مكة ـ والدفاع عنه حتى أخذ حقّه. وحتى بعد مجيء الإسلام بسنوات طويلة كان الرسول (ص) يقول إنني مازلت أعتبر نفسي ملتزماً بذلك الحلف. وكم كان يعامل أعداءه المقهورين بسلوك لم يكونوا قادرين على فهمه وإدراكه ؛ ففي السنة الثامنة للهجرة، وعندما دخل النبي (ص) مكة فاتحاً بكل عظمة واقتدار فإنه قال: "اليوم يوم المرحمة" ولم يثأر من أهلها. وهذه هي شهامته صلى الله عليه وآله وسلم.

كما كان الرسول (ص) معتمداً حيث كان يعمل بالتجارة في الجاهلية ـ كما ذكرنا ـ وكان يسافر إلى الشام واليمن ويسهم في قوافل التجارة ويشارك الآخرين. ويقول أحد الذين شاركوه في زمن الجاهلية لقد كان أفضل شريك لي، فلم يكن يعاند ولا يجادل ولا يلقي بعبئه على كاهل الآخرين، ولا يتعامل مع الزبائن بسوء، ولا يبيع لهم بثمن باهظ، ولا يكذب عليهم ؛ فقد كان صادقاً أميناً. ولهذا أعجبت به السيدة خديجة وهي السيدة الأولى في مكة وكانت شخصية بارزة في الحسب والنسب والثراء.

كما كان نظيفاً في طفولته على عكس الكثيرين من أطفال مكة والقبائل العربية، فقد كان نظيفاً حسن الهندام منذ طفولته. كان يمشط شعره أثناء فتوته وكذلك في شبابه كان يمشط شعره ولحيته، وحتى بعد الإسلام. عندما جاوز مرحلة الشباب وبلغ الخمسين أو الستين من عمره فإنه ظلّ ملتزماً بنظافته حتى إنه كان دائماً ما يسوّي لحيته وشاربه وشعره كلّما طال ويحافظ عليه نظيفاً ومعطّراً. وقد قرأت في إحدى الروايات أنه كان لديه إناء في ماء في بيته، حيث لم تكن المرآة واسعة الانتشار آنذاك، وأنه "كان يسوّي عمامته ولحيته إذا أراد أن يخرج إلى أصحابه". ودائماً ما كان معطّراً، حتى في أسفاره، فمع أنه كان زاهداً في حياته ـ كما سأبيّن فيما بعد ـ إلاّ أنه كان يحمل معه العطر والكحل حتى يكحل عينيه على ما كان سائداً بين الرجال في ذلك الزمان. كما كان يستخدم السواك مرات عديدة كل يوم، ويدعو الناس إليه. ويحثهم على النظافة وحسن الظاهر.

إن البعض يخطئون عندما يظنون بأن المظهر الحسن لابدّ وأن يكون مقترناً بالفخامة والإسراف. كلاّ، فبوسع المرء أن يرتدي لباساً مرقّعاً مع الحفاظ على الهندام الحسن والنظافة. لقد كانت ملابس رسول الله (ص) مرقّعة وقديمة ولكنها كانت نظيفة كرأسه ووجه ولحيته. وإن لمثل هذه الأمور تأثيراً كبيراً في العشرة والسلوك والشكل الظاهري والحالة الصحية. وإنها أمور تبدو وكأنها صغيرة في ظاهرها ولكنها كبيرة في معناها ومضمونها وباطنها.

وكان يعامل الناس معاملة حسنة ؛ فقد كان دائماً طلق الوجه أمام الناس، ولم يكن يبدي لهم ما يعتمل صدره من هموم وأحزان. كما كان يسلّم على الجميع، وعندما كان يؤذيه أحد، فإنه لم يكن يشتكي مع ظهور آثار ذلك الأذى على ملامحه. وكان لا يسمح لأحد أن يسبّ الآخرين في مجلسه، ولم يكن هو نفسه يسبّ أحداً أو يتحدث بما يسيء الآخرين. وكان يداعب الأطفال، ويعطف على النساء، ويحنو على الضعفاء، ويمازح أصحابه ويجاريهم في سباق الخيل. وكان فراشه ووسادته جلداً محشوّاً بألياف النخيل. وكان أغلب طعامه خبز الشعير أو التمر. ولقد كتبوا بأنه لم يُشبع بطنه أبداً من خبز القمح ـ الأطعمة المنوّعة على مختلف ألوانها ـ. وتقول عائشة أم المؤمنين: ربما كان يمرّ الشهر ولا يرتفع لنا دخان. وكان النبي (ص) يركب الدابة بلا سرج ولا ركاب، وفي زمن كان القوم يتفاخرون بالخيل المطهمة ذات الأثمان الغالية كان يمتطي الفرس العادي، وكان متواضعاً، حيث كان يصلح نعله بيده ويرقعه بنفسه. وهذا ما كان يفعله تلميذه البارز أمير المؤمنين (عليه السلام) كما نقل عنه كثيراً في الروايات. ومع أنه كان لا يرى غضاضة في كسب المال عن طريق الحلال وكان يقول: "نعم العون على تقوى الله الغنى" إلا أنه كان يتصدق على الفقراء بكل ما يصل إليه من مال، وكان قدوة في العبادة لدرجة أن قدميه كانتا تتورمان من طول الوقوف في محراب العبادة. وكان يقضي القسم الأكبر من الليل في العبادة والتضرع والبكاء والاستغفار والدعاء ومناجاة الله تعالى. وكان يصوم شهري رجب

وشعبان فضلاً عن شهر رمضان في ذلك الحرّ القائظ، إضافة إلى الكثير من أيام السنة كما سمعنا. وعندما كان أصحابه يقولون له: يا رسول الله، لماذا كل هذا الدعاء والاستغفار والعبادة وقد غفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟! فإنه كان يجيب "أفلا أكون عبداً شكوراً"؟!

وكانت استقامته (ص) بلا نظير في تاريخ البشرية، وهو ما جعله قادراً على ترسيخ هذا الكيان الإلهي الخالد والعظيم. وهل كان ذلك ممكناً بلا استقامة؟! فباستقامته بات واقعاً ملموساً ؛ لقد ربّى أصحابه الكبار وأعدّهم باستقامته. ورفع عماد فسطاط المدينة الإنسانية الخالدة وسط صحراء الحجاز المقفرة {فلذلك فادع واستقم كما أمرت}. فهذه أخلاقيات الرسول (ص) الشخصية.

الأخلاق الحكومية

وأما خُلُقه كحاكم، فقد كان عادلاً ومدبّراً ؛ فالذي يقرأ تاريخ هجرته إلى المدينة، وتلك الحروب الشعواء بين القبائل، وتلك الغزوات الوحشية القبلية، وإخراج العدو من مكة إلى الفيافي، وتلك الضربات المتوالية، وذلك الصراع مع العدو المعاند، فإنه سيلاحظ مدى ما كان يتّصف به من تدبير شديد وحكيم وشامل بما يبعث على الدهشة، ممّا لا مجال لديّ الآن للاسهاب فيه.

كان (ص) شديد الرعاية والحفاظ على القانون، ولم يكن يدع أحداً ينقض أحكام الشريعة أو يفرّط بالقانون، فضلاً عن نفسه، وكان يعتبر نفسه خاضعاً للقانون كما ينصّ القرآن على ذلك، فكان يطبق القانون على نفسه كما يطبقه على من هم سواه بلا أدنى تجاوز. وعندما غزا المسلمون بني قريظة فأسروا رجالهم وقتلوا خائنيهم وغنموا أموالهم ومتاعهم، فإن بعض أمّهات المؤمنين ومنهن زينب بنت جحش، وعائشة، وحفصة، قلن للنبي (ص) : يا رسول الله، لقد غنمنا كل هذه الأموال من اليهود فاجعل لنا نصيباً فيها، إلا أنه لم يذعن لقولهن مع حبه واحترامه لهن، ومع أن أحداً من المسلمين لم يكن ليعترض عليه. فلمّا زاد إلحاحهنّ فإنه (ص) اعتزلهنّ شهراً كاملاً على غير ما يُتوقع منه. ثم لم يلبث أن نزلت آيات سورة الأحزاب الشريفة {يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء}. {يا أيّها النبيّ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً}. فدعاهنّ الرسول (ص) إلى الزهد واحترام القانون. ومن خلقه أيضاً كحاكم (ص) ، انه كان يرعى العهود، ولم ينقض عهداً له أبداً. وعندما نقضت قريش عهده فإنه ظل راعياً له، وكذلك كان الحال مع اليهود الذين نقضوا عهده غير مرة.

كما كان (ص) حافظاً للسر ؛ فعندما خرج لفتح مكة فإنه لم يُعلِم أحداً بوجهته، فعبّأ الجيش بأجمعه ثم أمرهم بالخروج. وعندما سألوه: إلى أين؟ فإنه أجابهم: سيتضح ذلك فيما بعد. فلم يُخبر أحداً بأنه قاصد مكة، لدرجة أن أهل مكة لم يعلموا بقدومه حتى اقترابه منها!

ومن أهم مميزات سيرة النبي (ص) أنه لم يكن ينظر إلى أعدائه نظرة واحدة ؛ فالبعض كانوا له أعداءً ألدّاء، لكنه كان لا يمسّهم بسوء إذا لم يجد منهم خطراً. وأمّا الذين كان يلمس خطراً فيهم فإنه كان يراقبهم ويقف منهم على حذر كعبد الله بن أُبيّ. فلقد كان عبد الله بن أبيّ منافقاً من الطراز الأول، وكان يتآمر على الرسول (ص) ، لكنّ الرسول (ص) اكتفى بوضعه تحت الرقابة حتى آخر حياته. وقد مات ابن أبيّ قبل وفاة النبي (ص) بفترة وجيزة، لكنه (ص) تحمله حتى النهاية. لقد كان أولئك من الذين لا يشكلون خطراً شديداً على النظام والحكومة والمجتمع الإسلامي، ولكنه (ص) كان شديداً على من يشكلون خطراً جسيماً. إن ذلك الرجل الرحيم المتسامح هو الذي أمر بقتل الخائنين من بني قريظة ـ وكانوا عدة مئات ـ في يوم واحد، وهو الذي أخرج بني النضير وبني قينقاع وفتح خيبر، وذلك لما كانوا يمثلونه من خطر. لقد عاملهم الرسولپپ (ص) برفق لدى قدومه إلى المدينة، لكنهم خانوه وطعنوه من الخلف وتآمروا عليه وهدّدوه. إن الرسول (ص) تحمل عبد الله بن أبيّ، وتحمل يهود المدينة، وفتح صدره لمن استجار به ومن لم يؤذِه من قريش، كما عفا عن أهل مكة عند الفتح وفيهم أبو سفيان وأمثاله من كبار رجال مكة، حتى إنه أعطى بعضهم شيئاً من الامتيازات لأنهم لم يعودوا يشكلون خطراً. ولكنه مع ذلك تعقّب فلول الأعداء الألدّاء الذين لمح فيهم الغدر والخطر والخيانة وقمعهم بشدّة. وقد كان هذا خلقه (ص) كحاكم وقائد ؛ فكان شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين، وخاضعاً ومطيعاً لأمر الله وعبداً له بمعنى الكلمة، وكان حريصاً على مصالح المسلمين.. ولم يكن ما تقدّم سوى خلاصة من أخلاقه (ص) .

اللهم إنّا نسألك وندعوك أن تجعلنا من أمّة محمد (ص) . اللهم وأحينا وأمتنا على محبته، وأرنا وجهه الشريف والمنير يوم القيامة، وارزقنا العمل بوصاياه والتشبّه بخُلقه، واجعلنا من أتباعه المخلصين والعارفين الحقيقيين لقدره ومنزلته.

خطبة الجمعة لسماحته في طهران، 7 صفر 1241هـ